

القراءة للجميع
٢٠٠٩
الطبعة الثانية
٢٠١٠
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
رواد الحركة الوطنية
في مصر
هدى شعراوى

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات



سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية
في التاريخ الحديث

هدى شعراوى

رائدة العمل النسائى فى مصر

تقديم السفير إسماعيل خيرت
رئيس الهيئة العامة للإستعلامات

تأليف : أ.د محمود متولى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر



الاهـــداء

إلى المرأة المصرية شهيدة المشاركة فى العمل السياسى ... إلى شفيقة محمد أول شهيدة من النساء فى ثورة ١٩١٩ ... إلى هدى شعراوى رائدة العمل النسائى فى مصر ... إلى قاسم أمين ومن قبله عبد الله النديم ومن قبلهما رفاعة الطهطاوى ومن بعدهما سلامة موسى .

إلى كل هؤلاء الذين دافعوا عن قضية المرأة للنهوض بالمجتمع المصرى .. وإلى العقول المتحررة التى جعلت للمرأة المصرية دوراً أساسياً فى تقدم مجتمعها والمشاركة فى صنع القرار السياسى فوق أرض وطنها .. أهدى سطور هذه السيرة العطرة .



فهـرس الدراسـة



تقديم

يقف تاريخ مصر بمكوناته الثقافية والحضارية والفكرية شاهداً حياً على عظمة أبنائها الذين قدموا أروع التضحيات الوطنية وأعظم الإسهامات العلمية والثقافية على الصعيدين العربى والعالمى.

وعلى امتداد التاريخ لم يتوقف عطاء أبناء مصر وإسهاماتهم المتنوعة فى مختلف جوانب الحضارة الإنسانية، و كثيرة هى الشواهد الدالة على ذلك فى تاريخ مصر المعاصر لعل أبرزها حصول أربعة من أبناء مصر على جائزة نوبل فى أقل من ثلاثة عقود حيث حصل الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧٨ على جائزة نوبل للسلام، ونال الأديب الكبير نجيب محفوظ فى عام ١٩٨٨ جائزة نوبل فى الأدب، وحصل العالم المصرى الدكتور أحمد زويل على جائزة نوبل فى الكيمياء عام ١٩٩٩، ونال الدكتور محمد البرادعى جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٥ .

إن هذا العمل – سلسلة رواد الحركة الوطنية – الذى يحكى سيرة أمة وتاريخ وطن وعبقرية إنسان هو فى حقيقة الأمر – كما نتمناه – مصدر إلهام للأجيال الشابة تستمد منه العزم والإرادة والأمل لمواصلة مسيرة النهضة فى مختلف مواقع العمل الوطنى.

السفير/ اسماعيل خيرت

رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تمهيـد

إن الإشكاليـة التى نعانى منها اليوم وغداً وبعد غد تكمن فى أن المرأة لم تعط ما أعطاها الله إياه .. وربما كان من نافلة القول بأن مسؤولية المرأة فى تغيير المجتمع والارتقاء به ومسؤوليتها فى بناء الإنسان القادر على هذا التغيير . وتأثيرها فى توجهاته السلوكية والفكرية منذ أن يكون نطفة ثم رضيعاً ثم طفلاً . هى مسؤولية كبيرة وخطيرة . باعتبار أن المرأة هى نصف المجتمع وهى المنوطة بتنشئة وتربية النصف الآخر .. ومن هنا يمكن أن ندرك خطورة وضعية المرأة وأهميتها فى النهوض الحضارى ، ومن ثم نعمل على وضعها فى مسارها الحقيقى .

ويمكن القول باطمئنان بأن مصر كانت فى طليعة الأقطار التى أولت المرأة عناية فائقة .. فتاريخياً كان الفراعنة هم أول من اعترف بحقوق المرأة كاملة مساواتها للرجال فى مجالات السياسة والعمل والالتزام ، وكانوا أول من رفع المرأة إلى مقاعد الحكم ، وارتضى رجالهم فى فخر واعتزاز أن تحكمهم ملكات كانت عهودهن رمز العدالة والتقدم والاستقرار .. لقد وصلت المرأة الفرعونية إلى هذه المكانة العالية فى قومها بغير معارك وبدون اعتراض .. وما كان ذلك إلا لأن المجتمع الفرعونى كان هو المجتمع المتحضر الذى رسم للبشرية بأجمعها طريق الحضارة والعلم والحكمة .. أما كيف خسرت بعد ذلك حقوقها وحريتها وصارت أقرب إلى حالة العبودية والتأخر ، فقد كان ذلك فى عهود الاحتلال .. فلنعرف جميعاً –نساءً ورجالاً –أن المساواة التى تمتعت بها المرأة المصرية آلاف السنين فى مصر الحرة المستقلة المتحضرة قد أهدرت لأول مرة برماح جنود الاحتلال الغاصبين ، وتحت أقدام الغزاة المعتدين .. ولعل ذلك يبرر مدى الارتباط الحقيقى بين حرية المرأة وحرية الشعب كله وبالتالى بين القضية النسائية والقضية الوطنية .. فلا حرية للمرأة فى وطن مستعمر ولا عبودية للمرأة فى وطن متحرر .

لذلك لم يكن غريباً أن تسعى المرأة المصرية إلى استرداد ما سلبتها إياه عهود الإحتلال والطغيان من الحقوق والحريات .. وأن تمضى قدماً فى سبيل غايتها المقدسة حتى تصل إلى أوج الازدهار ، وذلك بمساعدة رجال آمنوا بها وبدورها فى المجتمع ومنهم رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وقاسم أمين وغيرهم .

بدأت نواة الحركة النسائية فى مصر تتبلور منذ ١٨٩٤ مع الحزب النسائى وحزب بنت النيل ومظاهرة الجامعة الأمريكية .. وبعد ثورة ١٩١٩ برزت زعامات نسائية من داخل حزب الوفد الذى كان يتزعمه سعد زغلول وكانت من أهم هذه الزعامات النسائية هدى شعراوى ابنة محمد سلطان باشا التى كانت تتميز بثقافة كبيرة ووعى تام بظروف المرأة فى مجتمعها .

لقد اشترت المرأة المصرية جزءاً من حريتها بقطرات حمراء غالية من دمائها الزكية التى ردت بها أرض الوطن فى معركته المقدسة التى طال بها عهد الاستبداد .. فلم تلبث القيود أن بدأت تتحطم من حول أقدامها المغللة .

ويبقى أن نقول أن المرأة المصرية لم تصل إلى ما وصلت إليه من نجاح وفوز فى أكثر الميادين إلا بفضل جهادها وخوض معارك حامية كانت تنتهى كلها بنصرها وهذا فى إعتقادى هو سر إعتزاز المرأة المصرية بنجاحها الذى استخلصته بالجهد والعمل ولم تنله على سبيل الهبة أو الصدفة .

الفصل الأول
هدى شعراوى .. النشأة والتكوين

ولدت هدى شعراوى أو هدى مصر - كما لقبوها فيما بعد - فى المنيا فى ٢٣ يونيو سنة ١٨٧٩م كى تحول بقع الضوء المتناثر هنا وهناك إلى شمس ساطعة لا ينكر شروقها إلا كل متخلف وجاهل .

أبوها هو محمد سلطان باشا ، أول رئيس مجلس ادارة فى مصر قبل أحداث الثورة العرابية حيث عين حاكماً على الصعيد وكان من أغنى أغنياء مصر .. وكان أول منصب تنفيذى له هو تعيينه مديراً لمديرية بنى سويف ثم مديراً للفيوم ثم مديراً لأسيوط ثم مديراً للغربية ، كما عين مفتشاً عاماً للوجه القبلى ثم أختير رئيساً لمجلس شورى النواب وكان أعلى منصب وصل إليه هو قائمقام خديوى مصر .

توفى محمد سلطان باشا سنة ١٨٨٤م وترك هدى شعراوى فى عمر خمس سنوات وكان لها أخ واحد هو إسماعيل .. أما والدة هدى شعراوى فكانت سيدة تركية على جانب من الوعى والرقى ، وهى التى استدعت لها مدرسين ليعلموها فى البيت اللغة العربية واللغة التركية واللغة الفرنسية والموسيقى .

وقد حرصت الأم على أن تجعل من الابنة صديقة لها ، وكانت تتيح لها أن تنطلق بشخصيتها ، كما أنها زرعت فى عقل ابنتها منذ الصغر عدم ارتياحها للتفرقة المفتعلة بين البنت والولد ، وكانت سياسة الأم الإقناع ومواجهة الرأى بالرأى ، فهى لم تلجأ إلى التأديب المعنوى أو المادى سواء فى علاقاتها مع ابنتها أوابنها .

وتقول هدى شعراوى عن طفولتها فى مذكراتها : " بدأت حياتى تحت رعاية خدم جهلاء يخفون عن الأطفال أمثالى ما كان يجب أن يعرفون من الحقائق ، كما كانوا يحيطوننى بنسيج من الخرافات التى لها تأثير خطير على عقول الصغار ".

ثقافتها :

هدى شعراوى هى بلا شك سيدة أرستقراطية ، فأبوها محمد سلطان باشا كان من كبار أثرياء مصر ومن ملاك العقارات الزراعية ، وهو ما ساعد على انفتاحها على شتى الثقافات ودراستها للموسيقى وقواعد اللغة العربية واتقانها للفرنسية والتركية ، كما أنها ختمت القرآن الكريم كاملاً فى التاسعة من عمرها .. أما زوجها فهو على شعراوى باشا الذى قاد مع سعد زغلول وعبد العزيز فهمى حركة الجهاد فى مرحلة هامة من تاريخ الكفاح الوطنى ضد المستعمر ..

كما عرف عنها منذ الصغر سمات القيادة .. ولما كبرت كانت سيدة هادئة رزينة بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. فظاهرها يوحى بإرادة صلبة وعقل مرتب .. من يجلس معها يدرك أنها امرأة متكاملة الصفات تملك طموحات عالية لها ولبنى جنسها ووطنها.

كانت هذه هى البيئة التى تأثرت بها هدى شعراوى التى أصبحت رائدة فى العمل الاجتماعى مركزة جهودها على المرأة ، فتبنت قضاياها مثل مسائل الزواج والطلاق وتعدد الزواج وغيرها .. ولم تكتف بذلك ، بل حثت المرأة على الكفاح ضد المستعمر ، وقد قامت بتأليف قصيدة باللغة الفرنسية بعنوان " وطنى " عكست فيها حبها لمصر .

زاد هدى شعراوى ميلاً للشعر فى طفولتها السيدة " خديجة المغربية " الشاعرة التى كانت تتردد على منزلها كثيراً وتقضى فيه أياماً عديدة فى غرفة تخصص لها طوال إقامتها ولم تبخل على هدى بقراءة أشعارها الجديدة مما ضاعف من تعلقها بالشعر ، ومع إدمانها للقراءة والإطلاع لم يعد يكفيها ما تشتريه من كتب بين الحين والآخر وأصبحت تطمع فى مطالعة كتب أبيها التى تركها فى خزانته التى لم تفتح منذ وفاته .

أحبت قراءة التاريخ ، كما كانت تقرأ فى السياسة ونظم الحكم ، وعشقت الحرية وكانت تؤمن باستقلالية المرأة عن الرجل ، وأبدت امتعاضها من كل ما كانت تعانى منه المرأة المصرية ، ورفضت كل القيود التى تعوق مشاركة المرأة فى بناء وطنها.

تزوجت هدى شعراوى وهى فى الثالثة عشرة من عمرها من على شعراوى باشا الذى كان يكبرها فى السن بأكثر من ثلاثين عاماً .. وكان لها منه ولد هو محمد الذى أصبح فيما بعد عضواً بمجلس الشيوخ فى مصر . وبنت هى بثينة التى تزوجت من محمود سامى باشا .. ويمكن القول بأن زواجها كان تقليدياً وحسب العرف السائد فى المجتمع الصعيدى ، ولقد كان لهذه التجربة أثر عميق فى حياتها .. فحين قامت تناضل فيما بعد من أجل حقوق المرأة وضعت فى طليعة مطالبها تحديد سن زواج الفتاة بستة عشر عاماً وقد نجحت فى الحصول على ذلك عام ١٩٢٤ .

جذور الريادة لدى هدى شعراوى :

هدى شعراوى بلا نزاع قائدة حركة تحرير المرأة فى مصر والعالم العربى قاطبة .. قضت ما لا يقل عن خمسين عاماً من حياتها فى صراع مرير من أجل رفع الظلم عن المرأة ، وكانت البداية بالمناداة بالمساواة الكاملة بين الجنسين لتمكين نصف الشعب العربى (الذى تمثله المرأة) من الخروج عن عزلته الاجتماعية والانطلاق إلى عالم البناء والإنتاج .

وموطن العظمة فى هدى شعراوى يكمن فى أنها كانت تجمع فى شخصيتها بين المتناقضات ، فقد ولدت فى فراش من ذهب وتطلعت إلى أسمى وأنبل الغايات ومع ذلك عشقت الشعب وانحازت للمرأة الفقيرة .

وكانت تقاليد عصرها تحرم العلم على النساء ، فتحدت هذه التقاليد بأن توسعت فى طلب العلم حتى بلغت أعلى مراتب الثقافة والمعرفة وأتقنت ثلاث لغات وأصبح بيتها صالوناً أدبياً وسياسياً يتواجد فيه أعلام السياسة والأدب والفلسفة والفنون .

تبنت المواهب وهى مازالت فى براعمها ، فأرسلت على حسابها الخاص للخارج بعثات من الرجال والنساء على السواء ، ولا أظن أن أحداً بين قمم الحياة فى عصرها كان يفوقها حباً لمصر ووفاءً لأرضها الطيبة وجرأة على المطالبة بالحريات فى ظل أسمى وأطهر مبادئ العفة والأخلاق .

لقد خاضت هدى شعراوى مجال السياسة الذى لم تكن تجرؤ على الاقتراب

منه إمرأة قبلها ، ولم تكن تخاف من الجهر بإرادتها والتفانى فى تحقيقها سوى الله عز وجل .

وهناك موطن آخر من مواطن عظمة هدى شعراوى وهو أنها كانت أول رائدة تجمع بين النظرية والتطبيق ، فلم تكتف بالمناداة بآرائها الثورية من خلال الصحف والمجلات والندوات والخطب والمحاضرات والمؤتمرات المحلية والدولية.. بل أحالت استراتيجيتها الحضارية الشاملة إلى هيئات وجمعيات ومؤسسات وعيادات طبية ..

حضرت هدى شعراوى أربعة مؤتمرات دولية للمرأة قبل رئاستها للاتحاد النسائى المصرى ، ثم حضرت عشر مؤتمرات دولية فى ظل رئاستها لهذا الاتحاد . وقد تأثرت كثيراً بالحركة النسائية فى أوروبا وبالأفكار التقدمية وعادت تحاول تحقيق بعض المكاسب للمرأة المصرية .

أسست خمس عشرة جمعية كلها تهتم برعاية الفتيات وتشجيع تعليمهن إلى جانب الاتحاد النسائى المصرى .

وقد وصلت قمة مجدها عند تقدير المجتمع النسائى الدولى لها بانتخابها نائبة لرئيسة الاتحاد النسائى الدولى ، كما شغلت منصب رئيس الاتحاد النسائى العربى . واستعانت بمقالاتها وخطبها فى تحقيق الكثير مما كانت تؤمن به من أجل قضية المرأة فى مصر والعالم العربى والإسلامى .. وفى هذا الصدد أسست مجلة " المصرية " باللغة العربية عام ١٩٣٧ بعد أن كانت قد أصدرت مجلة " الإيجبسيان " بالفرنسية عام ١٩٢٥ وأسندت رئاسة تحريرها لمرافقتها الدائمة وسكرتيرتها الخاصة السيدة " سيزا النبراوى " ، كما أنها أسست مصنعاً للخزف بروض الفرج لتشغيل الفتيات اليتيمات .

كما أنها اهتمت بالفن والفنانين ، فترأست جمعية أصدقاء المثال محمود مختار ، وكذلك ترأست وكالة جمعية إنقاذ الطفولة المشردة ، واختيرت عضو شرف فى جمعية المستشفيات والإسعاف وجمعية الاتحاد النسائى الأردنى والهلال الأحمر للسيدات المصريات وجمعية الأمل للصم والبكم ومبرة الأميرة فريال .

وقد حصلت هدى شعراوى على تقدير دولى وغربى حين حصلت على الوشاح

الأكبر من نيشان الكمال المصرى ، والميدالية الذهبية اللبنانية ، ونيشان الاستحقاق السورى من الدرجة الأولى ، ونيشان الاستقلال الأردنى .

وقد أسست هدى شعراوى قبل وفاتها جمعية خيرية من جميع البلاد الإسلامية لرعاية فقراء المسلمين الذين نزحوا من بلادهم للإقامة فى مكة والمدينة بعد أن لاحظت حالتهم السيئة والمليئة بالشقاء والحاجة .. وكانت ترصد من ماليتها الخاصة للفقراء والمساكين خمسة آلاف جنيهاً سنوياً .

كانت خلاصة آراء هدى شعراوى بالنسبة للمرأة منبثقة من إيمانها الكامل بكفاءتها ومساواتها بالرجل فى كل القدرات ، وكانت ترى أن عدم تعليم المرأة تعليماً عالياً سيؤدى حتماً إلى تأخر المجتمع وتخلفه عن ركب الحضارة ، كما أنها ناصرت عمل كل الفئات وكل الطبقات من النساء ولم تؤيد الاتجاه الراعى إلى تخصيص أنواع محددة من العمل فقط للمرأة .

وقد زارت هدى شعراوى المملكة العربية السعودية حاجة إلى بيت الله الحرام واستقبلها الملك عبد العزيز آل سعود وعرضت عليه فكرة إنشاء أول مدرسة لتعليم البنات فى السعودية فحازت الفكرة القبول لديه .

ويمكن القول بأن كافة الهيئات النسائية فى الوطن العربى كانت تحمل تقديراً كبيراً لهدى شعراوى بحيث أنها حظيت بما لم تحظ به سيدة فى المجتمع العربى والإسلامى منذ قرون.

كما حظيت هدى شعراوى بتقدير من الحركة النسائية فى الهند حيث قالت عنها السيدة " ساروجينا نابدو " زعيمة الحركة النسائية فى الهند عندما قدمتها فى مؤتمر عقد بالهند :

" أنها ليست فقط سيدة مصرية عظيمة بل تعد دون جدال من عظيمات نساء العالم " فصفق لها الحضور فى قاعة المؤتمر ، وكانوا زهاء الخمسة عشر ألف .

توفيت هدى شعراوى فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٤٧ عن عمر يناهز الثامنة والستين عاماً ، وقد سارت لها جنازة رسمية حيث أرسل الملك فاروق برقية عزاء، كما بعث بمندوب يسير فى جنازتها ، وأرسلت الملكة فريدة والإمبراطورة فوزية والأميرة فايزة مندوبات عنهن للتعزية ، وكانت أكاليل الزهور تسبق الجنازة من

كافة الهيئات ومن بينها سيدات مبرة محمد على وسيدات الهلال الأحمر وكلية البنات بالزمالك وفروع الاتحاد النسائى ومدارسه .

وكانت آخر كلمات هدى شعراوى حول الحركة النسائية قبل وفاتها :

" المجتمع هو وليد المرأة فى كل العصور ، فمن لا أم له لا وجود له .. وإن المرأة فى تاريخ الإنسانية الطويل هى المحور الذى التف حوله المجتمع وإن استعراضنا لتاريخ المرأة استعراض لحياة المجتمعات الإنسانية كلها .. إن المرأة فى كفاحها ضد استعباد الرجل فى عصور التاريخ الغابرة إنما تمثل صفحة من صفحات كفاح الإنسانية فى سبيل حرية الجنس البشرى ضد الاستغلال والاستعباد وضد الإقطاع البشرى فى أسوأ صوره .. ومع كل ذلك فقد ظهرت فى التاريخ نساء لامعات فى أظلم عصور الرجعية متحديات حياة الاستعباد يكتبن صفحات خالدات فى تاريخ البشرية " .

وعن الحرية قالت هدى شعراوى :

" لا قيمة للحرية إذا لم نستفد منها ونتصرف على هداها ونستمد من روحها قوة وحيوية وإرادة صحيحة للعمل والتخلص من الأخطاء . والحرية بدون مسئولية لا معنى لها .. والأحرار الذين لايمارسون حريتهم قولاً وعملاً هم عبيد من نوع جديد ، بل هم أشد من العبيد ظلماً لأنفسهم وإضاعة لفرصتهم فى الحياة .. والأحرار الذين لا يمارسون حريتهم أشبه بالأغبياء الذين يكتنزون أموالهم ولاينفقون منها ويعيشون فى جوع وبؤس . إذ أن المال لا قيمة له بدون إنفاقه فى الإنتاج والاستثمار وأداء الواجبات العامة ، والحرية لا قيمة لها وحدها ، بل قيمتها فى أن نمارسها ونستثمرها ونستفيد منها لخلق حياة أفضل ومجتمع أكثر نجاحاً وسعادة ".

الفصل الثانى
تطور النهضة النسائية فى مصر
من عهد محمد على حتى ظهور هدى شعراوى

قبل ظهور كتاب قاسم أمين " تحرير المرأة " سنة ١٨٩٩ ثم كتابه المرأة الجديدة سنة ١٩٠٠ ، كانت النساء المصريات يقضين النهار عاطلات عن الحياة الرفيعة والعمل المجدى منزويات فى أماكن الحريم من البيوت وكان بعض الشعاع من السعادة يلمع أحياناً كومض البرق فى حياتهن الرتيبة التى لا جديد فيها ولا تجديد ، وكانت مشاغلهن لا تليق بالمرأة المناهضة وبالمهمة التى يفرض عليها أن تؤديها .. ولكن حالة المرأة على هذا الوجه لم يكن ممكناً أن تستمر إلى الأبد ..

النهضة النسائية المصرية فى عهد محمد على :

أسس محمد على أول حكومة مصرية فى العصر الحديث بأسلوب شديد الشبه بحكومات الغرب ، حيث نقل كثيراً من النظم الغربية فى التعليم والإدارة والجيش وكانت مفاخره أكثر من أن تحصى أو تعد وفى مقدمتها نهضته التعليمية التى ضرب بها فى جميع النواحى .

وقد يرى بعض المؤرخين أن النهضة التعليمية اتجهت فى معظمها إلى البنين وأن قسطه فى تهذيب البنت وتعليمها قليل جداً إذا قيس بإسهامه فى تنوير الذكور وتكوين جيلهم والبلوغ به إلى أقصى ما يطمح اليه جيل من الرقى الفكرى والعلم الواسع والثقافة العليا ، إلا أن محمد علي كان معذوراً فى ذلك لأن التقاليد كانت أقوى منه فيما يتعلق بتعليم البنات وتثقيفهن .. ورغم كل ما قد يقال ، فإن محمد على قد كتب لنفسه فى التاريخ فضل أول مصرى ينهض بالمرأة فى جيل لم يكن للمرأة فيه أى اعتبار .

وكانت البيئة الاجتماعية فى مصر تمنع الأطباء من معالجة السيدات لأن فى ذلك خروج على التقاليد والعادات وهى تقاليد وعادات كانت لها حرمة الدين فى ذلك الزمان ، لذلك فقد رأى أن ينشئ مدرسة لتخريج مولدات متعلمات ، فصدر أمر عال إلى حبيب أفندى مأمور الديوان الخديوى بأن يختار من حرم قصر

القلعة بعض الأغوات الملمين بالقراءة والكتابة ليتعلموا بإشراف كلوت بك الطب والجراحة ، ثم قرر الأمر العالى أن يشترى عشراً من الجوارى ليتعلمن بإشراف كلوت بك أيضاً صناعة التوليد والطب والجراحة، وكان هؤلاء الأغوات وأولئك الجوارى أول طلاب عرفتهم مدرسة الولادة .

لقد أراد محمد على أن يجعل من الجوارى - بعد أن تنجح التجربة - مثالاً طيباً يغرى المصريين على إلحاق بناتهن فى مدرسته الجديدة ، لأنه لم يكن يريد أن يسوق الطالبات إلى مدرسة البنات سوقاً كما كان يفعل فى مدارس البنين.

وقد بدأ محمد على فى إعداد أولئك الجاريات للمهنة الجديدة بتعليمهن القراءة والكتابة وبعض أصول الدين وقليلاً من الحساب ، وبعد ثلاث سنوات من دراسة متصلة لهؤلاء الجاريات تكونت أول باكورة لمدرسة الولادة فى عهد محمد على ، بيد أن هذه الدراسة كانت فى الواقع دراسة نظرية ينقصها التطبيق العملى ، لذلك تم إنشاء مستشفى صغيراً لأمراض النساء بالقرب من المدرسة بأبى زعبل يتسع لعشرين سريراً، وكان محمد على حريصاً أشد الحرص على نجاح هذه الباكورة من الحكيمات لأن نجاحهن سيشجع المصريات على الالتحاق بالمدرسة .. وهكذا يمكن أن يقال أن التاريخ يسجل لمحمد على أنه أول من وظف الفتيات المتعلمات فى خدمة اجتماعية جليلة الشأن بعيدة الأثر .

النهضة النسائية فى عهد الخديوى إسماعيل ومن بعده :

تولى الخديوى إسماعيل حكم مصر فى يناير ١٨٦٣ وحكم ١٦ عاماً حتى عزل فى ٢٥ يونيو ١٨٧٩م .

وتحدثنا الوثائق التاريخية عن أن إسماعيل كان يعرف للمرأة حقها ودورها فى بناء المجتمع .. ولم يكد يمضى على حكمه أربع سنوات حتى كان التفكير فى تعليم البنات أصلاً من أصول التربية فى مصر ، لذا تكونت فى ٢١ مارس ١٨٦٧ لجنة من المصريين برئاسة مرشد بك ناظر المدارس الحربية للنظر فى إنشاء مدارس جديدة للبنات .

ويمكن القول بأن زوجات الخديوى لعبن دوراً هاماً فى تعليم الفتاة المصرية ، حيث تقدمت الأميرة " جشم آفت هانم أفندى" الزوجة الثالثة للخديوى إسماعيل

إلى هذا الميدان ، فدفعت مبلغاً كبيراً لشراء قصر قديم فى السيوفيه وأمرت بإصلاحه وتحويله إلى مدرسة للبنات تضم مائتى تلميذة للقسم الداخلى ومائة أخرى فى القسم الخارجى ، وهى المدرسة التى تم افتتاحها فى أول يناير سنة ١٨٧٣م .

ولم يمض وقت طويل على افتتاح مدرسة السيوفيه حتى أشتد إقبال التلميذات عليها الأمر الذى لفت المسئولين إلى أن ضرورة الحياة الإجتماعية تقتضى التفكير فى مدارس أخرى للبنات ، وبقيت مدرسة السيوفية تؤدى رسالتها فى مصر ، وكان الغرض منها أن تقدم لتلميذاتها مزيجاً من التعليم الابتدائى والتعليم المهنى يمكنهن من إفادة أسرهن وبلادهن وكسب عيشهن إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

وكانت مدرسة السيوفية مدرسة تجهيزية تغذى مدرسة الولادة بتلميذاتها المتخرجات فيها ، وكانت مواد الدراسة هى الدين واللغتان العربية والتركية والتاريخ المصرى وجغرافية مصر خاصة والدنيا عامة والحساب ومبادئ فى المحاسبة المنزلية وقسط طيب من التاريخ الطبيعى ودراسة النواحى الطبيعية وتطبيقها فى الحياة اليومية ثم تعلم الرسم والأشغال والتدبير المنزلى .. ثم أضيف تدريس اللغة الفرنسية وبعض دروس فى البيانو .

وكانت أعمار تلميذات المدرسة تتراوح بين سبع سنوات وإحدى عشرة سنة وكان لا يقبل من التلميذات إلا من أجرى لها فحص طبي دقيق جداً يثبت انتظام جسمها وخلوها من الأمراض .

وقد أحدثت عناية " جشم آفت هانم أفندى " بشئون المرأة لوناً من ألوان المنافسة الطيبة فى سبيل إنهاض المرأة المصرية ، حيث دفعت الزوجة الثانية للخديوى إسماعيل وهى الأميرة " أورطنجه هانم أفندى " من مالها الخاص قدراً كبيراً لإنشاء مدرسة فى القربية ولكن المشروع لم يكتمل ... مما دعا ديوان الأوقاف إلى إنشاء مدرسة تتسع لمائة من التلميذات الداخليات وخمسين من التلميذات الخارجيات فى القربية .

وكان الغرض من إنشاء هذه المدرسة إعداد التلميذات للخدمة المنزلية وهى

أول مدرسة من نوعها فى مصر الحديثة .. غير أن هذه المدرسة التى أنشأها ديوان الأوقاف لم تعش طويلاً فضمت تلميذاتها إلى مدرسة السيوفية ، بيد أن الخديوى وهو الحريص على انتشار مدارس البنات عز عليه إغلاق تلك المدرسة فأمر بإعادة افتتاحها على أساس جديد وإن كان مستوى الدراسة بها قد ظل أقل من مستوى مدرسة السيوفية .

وفكر الخديوى إسماعيل أن تكون لكل مدينة كبيرة مدرسة للبنات وبدأ برسم سياسة تعليمية نسوية على هذا الأساس وفكر فى مدينتى المنصورة والقاهرة على أن تكون مدرسة المنصورة على غرار مدرسة السيوفية ، أما مدرسة القاهرة الجديدة ، فقد فكر فى أن يخصصها لتعليم بنات الأسر الراقية وسميت لذلك " بمدرسة بنات الأشراف " ، إلا أن هذا المشروع الضخم لم يوافيه الحظ فبقى مشروعاً فحسب لأن إسماعيل عزل عن ملكه واضطربت الحالة المالية فى مصر وانحط مستوى التعليم فى المدرسة القديمة إلى أن تولت نظارة المعارف الإشراف عليها سنة ١٨٨٩ وسميت منذ ذلك الوقت "المدرسة السنية ".

ولقد كان من حسن حظ مصر أن ظهر بها بعض المفكرين الذين أسهموا برؤية جديدة بالنسبة لوضع المرأة فى المجتمع .. نذكر من هؤلاء فى القرن الـ ١٩ المفكر المصرى العظيم رفاعة رافع الطهطاوى ، ذلك الفلاح الأصيل الذى نشأ فى قرية من قرى الصعيد ثم درس فى الأزهر بعض الوقت واختير إماما لبعثة أرسلها محمد على إلى باريس ، فنشط هذا الإمام إلى العلم وأوغل فيه ودرس حياة الفرنسيين بقوة ملاحظته وسجل هذا فى كتاب سماه " تخليص الإبريز فى تلخيص باريس ".

وأهم ما يعنينا هنا هو كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" ، وهو كتاب فيه دراسات مختلفة فى التاريخ والأدب والسياسة ، وفيه آراء عن تعليم البنات وحقوق المرأة كتبت للطهطاوى الصفحة الأولى فى كتاب أصدقاء ومناصرى النهضة النسائية فى مصر ، فهو يذكر لنا أن " الله خلق المرأة للرجل ليبلغ كل منهما الآخر أمله وتقتسم معه عمله .. هى مثله سواء بسواء أعضاؤها كأعضائه وحاجتها كحاجته وحواسها الظاهرة والباطنة كحواسه وصفاتها كصفاته حتى

كادت أن تنتظم الأنثى فى سلك الرجال " ، ثم يقول فى موضع آخر : " ومما يوجد فى الأنثى قوة الصفات العقلية وحدة الإحساس والإدراك على وجه قوى قويم " .

فإذا فرغ الطهطاوى من هذا الحديث العام وكله تزكية للمرأة وعقليتها ونفسيتها تحدث فى فصل طويل عن تعليمها فقال :

" فإن هذا مما يزيدهن أدباً وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمهن فى قلوبهن ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش ، وليمكن للمرأة عند انقضاء الضرورة أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال ، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل ، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء " .

ويمضى الطهطاوى يذيع هذه الآراء القوية فى تعليم المرأة وتربيتها ، بل يذهب إلى ما نذهب إليه اليوم من حق المرأة فى العمل كالرجال تماماً ، وهو لا يذيع هذه الآراء فى كتاب بل يأذن بنشرها فى مجلة "روضة المدارس" وهى صحيفة يقرؤها الجيل الجديد من تلامذة المدارس ،والجيل القديم من أساتذة تلك المدارس وعلماء وأدباء ذلك العصر ، ويطلع عليها الجامدون المتزمتون من أنصار التقاليد .. فالطهطاوى رأى أن تعليم البنت ضرورة ، ولم يناقش الطهطاوى فى عنف خصومه فى هذا الرأى ، بل رأى عرض رأيه مجرد عرض مما آثار من غير شك حفيظة الرجعيين من الرجال خاصة أنصار التقاليد .

وفى أوائل القرن العشرين دعا الشيخ محمد عبده إلى تطور المرأة ورد حقوقها إليها .. ثم لقيت مشكلة تحرير المرأة من قاسم أمين اهتماماً عظيماً إذ تناولها بالبحث من الناحية الإجتماعية ، فارتفع صوته صادقاً مخلصاً فى الدفاع عن قضية المرأة ، وكان المجتمع قد تطور بوجه عام فأصبح فى الإمكان طرح هذه المشكلة على بساط البحث بدقة وحزم .. وقد أراد قاسم أمين أن يعرف المرأة ما لها من حقوق فألف لهذا الغرض كتابيه الشهيرين " تحرير المرأة " و " المرأة

الجديدة " .. وقد أثار هذان المؤلفان ضجة كبيرة فى مصر أدت إلى انتشار آراء الكاتب ووصولها إلى جميع الأسماع .

يقول قاسم أمين : " غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى المقام الرفيع وأن تخطو خطوة على سلم الكمال اللائق بصفتها فتمنح نصيبها من الرقى فى العقل والأدب ومن سعادة الحال فى المعيشة وأن تحسن استعمال ما لها من النفوذ فى البيت " .

أثارت الآراء التى بسطها قاسم أمين ردود فعل بعيدة الأثر فى البلاد حتى أن الشعب فى أكثريته الساحقة قلم بمناهضتها ، إذ بدا له تحرير المرأة –كما يبدو كل تطور جديد –حدثاً مخيفاً فحاول أن يحول دون تحقيقه بجميع ما لديه من الوسائل .

ورغم ما واجهه قاسم أمين إلا أنه ثبت فى موقفه وواجه بشجاعة كل من وقف ضده وكان البذرة التى أنبتت الكثير من الحقوق التى تتمتع بها المرأة الآن .

وقد وجدت آراء قاسم أمين تأييداً تاماً من الشيخ محمد عبده ، فحدث فى سنة ١٨٩٧ أن اجتمع الأستاذ الإمام وسعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين فى جنيف ، وأخذ الأخير يتلو على الإمام بعض فصول من كتابه عن تحرير المرأة فكان يوافق على ما فيها .. فالمرأة إذاً مدينة بكثير من الفضل للشيخ محمد عبده فى عودة حقوقها إليها حيث جاء تفسيره للقرآن صادقاً ومنصفاً ، وإن أثار ذلك حفيظة بعض الرجعيين الذين اتهموه بالزيغ .

وقد كان الشيخ محمد عبده قد تناول بالدرس الجدى بعض القواعد الدينية التى كان الخطأ فى تفسيرها يضر بالمرأة كثيراً ، وكانت مسألة تعدد الزوجات من أهم ما عالجه وعنى به من المسائل ، وقد كتب فى ذلك مقالاً طويلاً فى جريدة الوقائع المصرية حين كان يتولى رئاسة تحريرها (العدد ١٠٥٦ سنة ١٢٩٨هـ) نقتطف بعض فقرات منه، حيث قال الشيخ الكبير :

" قد أباحت الشريعة المحمدية للرجل الاقتران بأربع من النسوة إن علم من نفسه القدرة على العدل بينهن وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة .. فإن الرجل

إذا لم يستطع إعطاء كل منهن حقها، اختل نظام المنزل وساءت معيشة العائلة ، إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الاتحاد والتآلف بين أفراد العائلة " .

وفى هذا الجو الصاخب الذى أثارته آراء قاسم أمين ظهرت السيدة ملك ناصف الملقبة بباحثة البادية فوضعت حداً لهذه الضجة وكانت مثلاً حياً لحرية المرأة ، حيث نادت بإصلاح حال المرأة من وجهة التعليم والأسرة والمجتمع ، موضحة مزايا حرية المرأة فى ضوء المحافظة على التقاليد المصرية ، ومؤكدة على أهمية حرية المرأة باعتبارها نصف المجتمع ، وعلى أن الاهتمام بها واحتلالها مكانتها هو الطريق الوحيد لبناء الوطن ، كذلك فقد نادت بمجانية التعليم الابتدائي والثانوي ، وطالبت بجعل التعليم الأول إجبارياً فى جميع أنحاء مصر ، ونادت بالتوسع فى إنشاء المدارس التى تعنى بتعليم البنات ، وطالبت بعدم إباحة الطلاق وتعدد الزوجات إلا لمبرر ، كما طالبت بالتشريع لصلاح العائلة .

وعندما برزت هدى هانم شعراوى إلى الميدان ، جعلت لنهضة المرأة شكلاً دقيقاً واضحاً وأظهرته بمظهر قوى متين ، وكانت أول سيدة أعلنت السفور ، وقد أنشأت فى مصر حركة نسائية كللت بالنجاح العظيم تردد صداها فى أقطار أوروبا وسجلت جهودها مرحلة فاصلة من مراحل تحرير المرأة ، وقد شجعت عدداً كبيراً من الفتيات المصريات على الانصراف إلى تحصيل العلم لا فى مصر وحدها بل وفى أوروبا أيضاً كى تعود الطالبات إلى الوطن حاملات عناصر الثقافة الغربية ومثلها العليا فى الحياة الاجتماعية.

وانتشرت بفعل هذه العوامل حركة تعليم المرأة وتحريرها رغم التمسك بالتقاليد البالية ، حيث كانت الأسر الراقية - إلا فى القليل النادر منها - ترى أن التعليم والعمل من الأمور التى تحط من مكانة المرأة وكرامتها .. فكان لابد من القضاء على هذه التقاليد البالية ، وكانت الكلمة الأخيرة فى هذا النضال للدكتور طه حسين الذى شجع الفتيات على الإقدام على طلب العلم وتجاوز الدراسة الابتدائية والثانوية إلى الدراسة فى المعاهد العليا والجامعات .

ولم تكد تلك الآراء القديمة تتلاشى ويلقى بها جانباً بفضل جهود الدكتور طه حسين ومدرسته من أصدقائه وتلامذته حتى أخذ الناس يتسابقون فى تحرير

بناتهم وتعليمهن . ونتيجة لهذه الجهود مجتمعة بدأ شأن المرأة يرتفع ، وبدأ شعورها بقيمتها الفردية والاجتماعية يزداد وكذلك تمتعها بحقوقها الطبيعية كمخلوق حر له مكانته المعنوية والأدبية .

الفصل الثالث
هدى شعراوى ...
والنضال الاجتماعى والسياسى
لاسترداد حقوق المرأة

لا شك أن ظهور هدى شعرواى هى وزميلاتها على رأس الحركة النسائية المصرية دفع بالنهضة التعليمية للمرأة ، ولا يمكن إنكار ما حدث لتطور تعليم المرأة فى الفترة من سنة ١٩١٩ حتى وفاتها سنة ١٩٤٧ مما نقل المرأة المصرية إلى مرحلة حياتية لم تكن تحلم بها .

نادت هدى شعرواى بضرورة تغيير مناهج التعليم وعدم اتباع مناهج التعليم المشبعة بالروح الغربية ، وكانت تقول :

" إن علينا أن نوفق بين أوضاعنا .. بين اندفاعنا فى التقدم وبين ما خلفه لنا الماضى من تراث لا يزال ماثلاً أمامنا وهو يتصل بمستقبلنا " ، ثم تكمل :

" ولا يخفى أنه عندما تكون النهضة نتيجة تطور بطىء ، فإن الماضى يساعد فى تمهيد السبيل للمستقبل ، أما إذا سارت بسرعة كبيرة فإنه يخشى أن تقوم على أثرها أصعب المشاكل وأعقدها ، وفى مقدمة المشاكل إصلاح التعليم فى مصر وخاصة تعليم الفتيات لأن مستقبل الأمة يتوقف دائماً على مستقبل الأمهات من الناحيتين الفكرية والاجتماعية ، فحيث تكون الأمهات الجديرات بهذا الاسم يكون الأطفال ذو التربية الحسنة ورجال المستقبل الذين تضع الأمة فيهم آمالهم ، وترجو على أياديهم جيلاً جديداً فيه القوة والحياة " .

وطالبت هدى شعراوى بضرورة الإهتمام برياض الأطفال ، فبعد سنة ١٩١٩ كان كل الموجود فى مصر هو ١٢٥ روضة تضم نحو ١٥٤٨٩ طفلاً .

وطلبت هدى شعراوى من السيدات الأثرياء إنشاء ملاجىء تضم الأطفال المشردين والفقراء بوجه عام .. أما عن مدارس البنات ، فقد ازدادت حتى وصلت إلى عدد لا بأس به ووصل عدد التلميدات فى المدارس المصرية البحته بفضل دعوة هدى شعراوى إلى ٤٤٣١٩ تلميذة وبلغ عدد المدارس المصرية الخاصة

بالبنات حتى عام ١٩٤٥ نحو ٣٢٢ مدرسة إلى جانب المدارس الأجنبية من انجليزية وفرنسية .

وإذا كان يبدو أن عدد المدارس قليل وأن عدد التلميذات لا يتجاوز الخمسين ألفاً، فإن هذه المدارس وتلك التلميذات هن غرس جيل استطاع أن ينتزع النهضة التعليمية من الأسود الفاغرة أفواهها لتبتلع كل عمل يتصل بالمرأة وتقدمها .

ولم ينقض وقت طويل على إنشاء جامعة فؤاد الأول فى القاهرة حتى تقدمت بعض الفتيات للالتحاق بها . فرأى مدير الجامعة وكان آنذاك هو أحمد لطفى السيد أنه إذا طلب إلى الحكومة بأن تسمح بقبول الفتيات فى الجامعة فإنه سيلفت نظر جماعة المحافظين إلى الأمر ، فعمد إلى طريقة تنطوى على كثير من اللياقة لتيسير قبولهن .. ذلك أنه عامل الفتيات اللاتى تقدمن للالتحاق بالجامعة وعددهن خمس فتيات معاملة الطلاب ، أى أنه أصدر إلى سكرتارية الجامعة تعليمات تقضى بتقييد اسم كل طالب يحمل شهادات دراسية تؤهله للتعليم العالى دون إشارة إلى جنس الطالب وبهذه الطريقة سار الأمر من غير صعوبة فى البداية وقبلت الفتيات فى الجامعة .. وقد شجعت هدى شعراوى هذه الخطوات وأشادت بأحمد لطفى السيد .

إلا أن الرجعيين أحسوا بهذا الحدث الجديد الذى يتزعمه لطفى السيد ويناصره فيه بعض العمداء وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب آنذاك ، فأخذوا يتربصون للجامعة وطالباتها ، ويرجون بادرة من البوادر ليهاجموا الجامعة ويغلقوا أبوابها فى وجوه الفتيات .

وفى سنة ١٩٣٢ ظهرت صورة للدكتور طه حسين فى نادى الجامعة وعلى يمينه ويساره الطلبه والطالبات جلوساً يتناولون الشاى مما أثار حفيظة الرجعيين الذين حاولوا التخلص من طه حسين ولطفى السيد ، حيث أخذوا ينددون بالجامعة ورجالها وبفكرة تعليم البنات بها فى مجلس النواب ، فأذنت الحكومة لمجلس نواب ذلك العهد بأن يعصف باستقلال الجامعة وعصفت هى من ناحيتها برجال الجامعة ، ولكن تعليم البنات خرج سليماً من هذه الموجة الرجعية ، واحتفظت المصرية بمكانها فى الجامعة رغم صياح الكثيرين بفضل المقالات

والاجتماعات التى قادتها حركة النهضة النسائية فى مصر بزعامة هدى شعراوى.

وفى سنة ١٩٣٧ حدث أن أبدى بعض الطلبة رغبتهم فى فصل الفتيات عن الفتيان فى الجامعة وأيدت بعض الصحف هذه الرغبة ، غير أن الجامعة تجاهلت الأمر وظلت الفتيات فى مكانهن .. ثم ظهرت بعض العناصر الرجعية فى عهد مجلس الوصاية وأخذت تهاجم الجامعة مهاجمة شديدة ، ولكن إدارة الجامعة وقفت موقفاً حازماً وقاومت تلك الحركة وبالتالى لم تفقد الفتيات شيئاً من حقوقهن فى الجامعة .

وهنا لا يجب على التاريخ أن ينسى ذلك الجهد الذى بذله طه حسين فى تأييد الحركة النسوية وإنهاضها ، أو أن ينسى له فضل تشجيعه الفتيات المصريات على طلب العلم فى جامعة القاهرة والجامعات الأوروبية وما أدى إليه ذلك من نجاح كثيرات منهن .

ومن أقوال هدى شعراوى :

" من الأمور التى تختص بالمرأة وتعتبر من أهم مقومات وجودها الاحتفاظ بأنوثتها فهى إذا ما فقدت أنوثتها ، فقدت فى أكثر الأحيان سحرها ورقتها أى جمالها الحقيقى .. فكثيراً ما تدعى العلم وتهمل نفسها فتصبح أشبه بالرجل منها بالمرأة " .

وتقول أيضاً :

" يحسن أن نضع حدا لمسألة كثيرا ما تتداولها الألسن وهى مهمة المرأة فى المجتمع .. وقد قيل كثيراً أن مهنة المرأة أن تكون بجانب زوجها وأطفالها ، وهذا القول حقيقى لا شك فيه ، فإن المرأة تؤدى رسالتها الأولى فى بيتها وهى لا تزعم مكاناً يفضل منزلها ، ولكنها إذا وهبت نشاطاً غير عادى وقسطاً كبيراً من الذكاء فلماذا لا يتعدى مالها من نور العقل والإدراك حدود البيت ، فتخرج إلى البيت الأكبر وهو المجتمع الذى نسىء إليه بحرمانه من فضل ينطوى عليه قلب بعض النساء .. لماذا نمنع المرأة هذا المخلوق البشرى من أن تساعد فى الأعمال الإنسانية وتعمل مع غيرها من الناس .. لماذا يجب أن تبقى الأشياء حيث كانت

ولا نعطى المرأة حريتها فى التفكير والعمل ونسمح لها تبعاً لذلك بأن تحيا حياة اجتماعية وعقلية مساوية للرجل .. إن هذا هو المعنى الحقيقى للحركة النسوية .. إن الحركة النسوية بمعناها الصحيح هى التفاهم التام بين الرجل والمرأة لا النضال المستمر بين الجنسين " .

ومن دواعى فخر المرأة المصرية أن المكاسب الاجتماعية التى أحرزتها لم تأت عفوا أو على سبيل الصدفة والإحسان .. كذلك لم تأت نتيجة لظروف طارئة ضاغطة مثلما حدث فى الغرب حين قامت الأوروبيات والأمريكيات بمظاهرات غاضبة لجأن فيها إلى العنف الشديد ، ولم يهدأن حتى استجيبت مطالبهن أو استجيب الجانب الأهم منها على الأقل.

وحين قامت الثورة الوطنية الكبرى على أثر نفى سعد زغلول إلى جزيرة مالطة فى ٨ مارس ١٩١٩ ، هب المصريون عن بكرة أبيهم يصرخون بالاحتجاج ، ولجأ المستعمر الى العنف كى يسكتهم .. وإذا بنساء مصر يخرجن إلى الجهاد فى مظاهرة عظيمة تقودها هدى شعراوى فى ١٦ مارس ١٩١٩ ، وأحاط الجنود الانجليز بالمظاهرة النسائية ووجهت البنادق إلى صدور المتظاهرات وكان التركيز بالأساس على هدى شعراوى التى كانت تقف فى المقدمة وتلهب مشاعر الرجال قبل النساء بهتافاتها الحماسية ، إلا أن إستر فهمى ويصا اندفعت من بين الصفوف إلى الأمام ووقفت بجوار هدى شعراوى تقول للمستعمرين باللغة الانجليزية التى كانت تتقنها : " أطلقوا على الرصاص إذا كنتم رجالاً حتى يرى العالم كله أنكم دون البشر وأحط فى وحشيتكم من الحيوانات " .

ولكن الإنجليز ، إمعاناً فى التنكيل ، لجأوا إلى تطويق المظاهرة النسائية ومنعها من الحركة لمدة سبع ساعات كاملة تحت شمس الصيف المحرقة ، مما أدى الى إصابة كثيرات بالاغماء ، ثم قبض على الزعيمات وأودعن السجن ولم يطلق سراحهن إلا عندما تقدم قادة الثورة ودفعوا الكفالة وأخرجن المتظاهرات .

غير أن القتل والسجن والاضطهاد والتعذيب لم يزد هدى شعراوى وصاحباتها إستر فهمى ويصا وجميلة عطية وهدية بركات ومن ورائهن المصريات من جميع الفئات إلا عزماً وإصراراً على مزيد من الجهاد .

وأعلنت هدى شعراوى إنشاء " جمعية المرأة الجديدة " بزعم أنها لخدمة الفقيرات والحقيقة أنها كانت الملجأ السرى لزعماء الثورة من الساسة والمجاهدين.. وفى هذا الملجأ السرى كان الرجال يجتمعون كل ليلة خفية عن الأنظار المتربصة بهم .. ويكتبون المنشورات ويوزعون أوامر الجهاد على المجاهدين .. ويسجلون الأوامر السرية ويطبعونها .. ثم تكلف النساء بحمل الأوراق والمنشورات ونقلها إلى مواقعها ، وكانت هدى ورفيقاتها يخفينها تحت الحبرة التى كانت السيدات حتى ذلك الوقت يتحجبن بها ، ويسافرن من بلد إلى بلد ومن مديرية إلى مديرية ومن كفر إلى كفر مقدرات تمام التقدير خطورة العمل الذى يقمن به ، ووحشية العقاب الذى ينلنه اذا اكتشف أمرهن .. وعندما انتهت الثورة بانتهاء الظروف التى دعت إلى قيامها ، ظلت لجنة الوفد المركزية للسيدات والاتحاد النسائى المصرى الذى تغير اسمه ليصبح "جمعية هدى شعراوى ".

ولا يجب أن ننسى فى هذا الصدد الدور الذى قامت به صفية زغلول زوجة الزعيم سعد زغلول والتى خصصت الدور الأرضى من منزلها لاجتماعات الزعماء ولجان الطلبة .. ومن هناك أيضاً كانت جمعية " المرأة الجديدة " برئاسة هدى شعراوى تطبع المنشورات ، كما استضافت صفية زغلول فى بيت الأمة لجنة الوفد المركزية للسيدات .. وقامت جمعية المرأة الجديدة ولجنة الوفد المركزية للسيدات بدور هام لإدارة الصراع ضد الوجود البريطانى فى مصر وإشعال الحماسة فى نفوس الشعب المصرى .

وكان من أبرز ما قامت به هدى شعراوى فى ثورة ١٩١٩ هو عقد اجتماع للنساء فى ١٥ مارس سنة ١٩١٩ فى الكنيسة المرقصية . تمخض عن تكوين اللجنة التنفيذية للنساء الوفديات واختيرت هدى شعراوى رئيسة لهذه اللجنة .

واستعدت هدى شعراوى لمظاهرة أخرى بعد أول مظاهرة قادتها فى ١٦ مارس وطلبت من السلطات المختصة الإذن بهذه المظاهرة التى كانت تهدف إلى تقديم مجموعة من الاحتجاجات إلى السفارات الأجنبية ضد الاحتلال البريطانى ، لكن

رفض الطلب ، ولم يثنيها ذلك عن الخروج هى وزميلاتها وبينما كانت تتأهب للخروج من المنزل للاشتراك فى هذه المظاهرة ، دار حوار بينها وبين زوجها قالت فيه : " إن النساء لسن أقل شجاعة من الرجال ولا أقل منهم وطنية وقومية " ، ثم انطلقت لتلحق بالسيدات اللاتى كن فى انتظارها ، وشكلت هى ومن معها من النساء مظاهرة نسائية حملن فيها لافتات كتب عليها عبارات وطنية وحمل بعضهن أعلام جميع الدول إلا علم بريطانيا ، وسارت المظاهرة قاصدة المفوضية الأمريكية أولا حسب البرنامج وكان الجمهور يقابلها بالتصفيق وينثر عليها الزهور من نوافذ المنازل .. وأمام القنصلية الفرنسية وقف جمهور من الجالية الفرنسية يستقبل الموكب بباقات الزهور تحية له .. ثم تحولت المظاهرة قاصدة بيت سعد زغلول ، إلا أن الجيش البريطانى حاصرها ، وصوب أحد الجنود بندقيته نحو هدى شعراوى، وعندما همت إحدى صديقاتها المشاركات فى المظاهرة بسحبها من المواجهة ، فإذا بهدى شعراوى تقول بصوت مسموع :

" اتركينى فإننى أريد أن تقع فى مصر اليوم مس كافيل أخرى " .. و" مس كافيل" هذه هى سيدة انجليزية أعدمها الألمان فى الحرب العالمية الأولى بتهمة التجسس وأصبحت مثلاً للوطنية فى انجلترا .. وهنا تراجع الجندى عندما سمع هذا الاسم .

وفى ١٣ ديسمبر ١٩١٩ اجتمع عدد كبير من النساء للمرة الثانية ، حيث احتجت السيدات المجتمعات على :

❖ نفى الزعماء وعلى رأسهم سعد زغلول .

❖ المعاملة القاسية للشعب طوال الثورة .

❖ الاحتجاج على الوزارة المعنية بمساعدة الانجليز (وزارة يوسف وهبة باشا).

❖الاعتراض على قدوم لجنة ملنر .

❖ الاعتراض على بقاء الحماية على مصر .

وقد أصدرت هدى شعراوى الاحتجاج التالى وكانت على رأس الموقعات عليه ومعها أكثر من مائة سيدة :

" طالبت الأمة المصرية باستقلالها الذى تريد انجلترا الاعتداء عليه ، وسلكت

فى ذلك كل السبل السلمية المشروعة ، فأصرت انجلترا على نية سلب ذلك الاستقلال ، ومناوءة المصريين ، وأصرت انجلترا على تلك النية بالرغم من الوعود الصريحة والمتكررة التى ارتبط بها كبار ساسة الانجليز المسئولين بالنيابة عن حكومتهم وأمتهم بأن انجلترا لا تنوى إطالة الاحتلال لمصر وتريد إلغاء الحماية عليها .. وبالرغم من التصريحات الرسمية التى جاهروا بها فى السنوات الخمس الأخيرة من أنهم إنما خاضوا أغمار الحرب لنصرة الحق والقضاء على القوة الغاشمة وتأييد استقلال الأمم الصغيرة ، وبالرغم من مبادئ الرئيس ويلسن التى أقرها جميع الحلفاء واتخذها المتحاربون أساساً للهدنة ولعقد الصلح وهى المبادئ التى قررت صراحة أن الشعوب ليست من السلع التى تنتقل من يد إلى أخرى وأن لها وحدها الحق فى تقرير مصيرها ، وبالرغم من إجماع كل المصريين من كل الطبقات والعناصر إجماعاً لم ير التاريخ له مثلاً على المطالبة باستقلالهم ورفض الحماية ، وبالرغم من كل الضحايا التى قدمها المصريون فى سبيل تأييد قضية الحلفاء التى قيل أنها قضية العدل والحق ، وبالرغم من أن الحياة الحرة المستقلة حق طبيعى لجميع الشعوب ، فليس لشعب أن يسلب شعباً آخر هذا الحق ، كما لا يجوز لإنسان أياً كان أن يتعدى على حرية إنسان آخر .. فقد حارب الإنجليز الوفد الذى أنابته جميع طبقات الأمة ووكله جميع ممثليها للدفاع عن قضية مصر أمام العالم واعتقلوا كبار أعضائه ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد أن ثارت الأمة رجالاً ونساء .. فأرسلوا لجنة ملنر على الرغم من إجماع المصريين كافة على مقاطعة هذه اللجنة التى جاءت لتأييد دعائم الحماية الباطلة، وبما أن النساء المصريات قد قمن بواجبهن فى جميع أدوار الحركة المصرية فاحتججن مراراً على كل ما أوقعه الإنجليز بهذه الأمة من القهر والمناوءة وحكم الإرهاب ، فهن يرين الآن أن يقمن بهذا الواجب مرة أخرى بمناسبة قدوم لجنة ملنر .. ولذلك ، اجتمعت السيدات المصريات الموقعات على هذا .. زوجات وبنات النواب والأعيان والموظفين والمحامين والأطباء والمهندسين والفلاحين وغيرهن من ممثلى طبقات الأمة وعناصرها فى يوم الجمعة ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ فى كنيسة الأقباط الكبرى بالقاهرة وقررن تأييد مقاطعة هذه اللجنة

الاستعمارية والاحتجاج على قدومها لمناوءة الأمة فى مطلبها الحق المشروع والإصرار على التمسك باستقلال مصر التام " .

وبعد أن تم الافراج عن سعد زغلول ، تألفت لجنة للسيدات فى أوائل يناير ١٩٢٠ برئاسة هدى شعراوى ، وكانت باكورة أعمالها ما أصدرته من احتجاجات رداً على بلاغ اللورد ملنر بصفتهن ممثلات النساء فى مصر خلاصته :

" أن السيدات الموقعات على هذا ، النائبات عن نساء مصر ، يبلغنكم إجابتهن عن بلاغ اللجنة المعلن فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ ، وأننا متفقات مع مواطنينا على استحالة مفاوضة لجنتكم الموقرة ما دامت لا تعترف قبل كل شئ باستقلال مصر .. ونحتج على هذه السياسة الضارة ونرجو أن تستطيع سياسة الانجليز فهم هذه الأمة وإدراكها للأحوال الحقيقية فى مصر وبأننا أمة ولدت من جديد " .

رئيس اللجنة المركزية للسيدات هدى شعراوى

لقد كانت هدى شعراوى شعلة نشاط غذت الوجدان المصرى وأشعرت المرأة المصرية بكيانها ، وبلغ ما أصدرته من منشورات أكثر من مائة منشور بدءاً من ١٩١٦ حتى ١٩٢٣ .

وكانت هدى شعراوى تكلف لجنة الوفد النسائية بتوزيع بيانات ومنشورات صفية هانم زغلول ، وكانت تردد لمن حولها من النساء ما تقوله أم المصريين وما ترد به على الإنجليز ، ومن ذلك مثلاً ما قالته صفية زغلول بعد نفى زوجها إلى "سيشل" فى صورة منشور وزعته هدى شعراوى على كل مصر :

" تستطيعون أن تنفوا سعد ولكنكم لن تستطيعوا أن تنفوا روحه لأنها تعيش ، وستظل تعيش .. وفى بيته سأكون سعداً حتى يعود وهو سيعود لأن الشعب لن يرضى بغيابه ، ولن يمكنكم من إبعاده طويلاً ، حتى لو مات سعد فسيأتى كثيرون غيره وسيتقدمون الصفوف ، وسأفعل كل ما أستطيع لاشعال روح الثورة فى سبيل استقلال مصر ، ولأن سعد كان شيخاً فثقوا أن هذا النفى لا يهد من عزيمته إلا شئ واحد هو أن يعلم يوماً أنكم اعتراكم الضعف ولو للحظة واحدة " .

الفصل الرابع
هدى شعراوى
والاتحاد النسائى المصرى

كانت السيدة هدى شعراوى من السيدات اللاتى يطيب لهن الكفاح فى سبيل إدراك الأهداف الرفيعة .. لها إرادة صلبة ، فإذا ما وضعت هدفاً نصب عينيها عملت على تحقيقه مهما كلفها الأمر من مشاق ومهما صادفت من مصاعب وعقبات .

وكان من أهم أهدافها إنهاض المرأة المصرية ، ورفع شأنها وتمكينها من إدراك حقوقها وواجباتها ، وهى من أجل ذلك أنشأت " الاتحاد النسائى المصرى " .

وقد كافحت فى هذا السبيل أشد الكفاح ولا سيما أن المرأة المصرية كانت لاتزال خاضعة لآراء قديمة بالية وتقاليد يصعب التخلص منها أو القضاء عليها ، فكانت تحارب جميع هذه الآراء والتقاليد وتخوض غمار معركة حقيقية ، بل غمار حرب شعواء بين شتى العواطف والأفكار المتباينة .

وقد خرجت من هذه المعركة ظافرة بعد أن حطمت سلاسل الجهل الذى كان مخيماً على حياة المرأة ، وكان كفاحها موجهاً إلى بعض التقاليد التى ليست لها أسانيد صحيحة من التاريخ أو الدين ، وإلى مظاهر الخمول التى تنتاب حياة النساء ، وإلى التحيز الذى أنصف الرجل وهون من شأن المرأة ، وإلى ضعف الفهم والإدراك عند بعض الخاصة والعامة جميعاً ، وإلى هؤلاء الذين ينظرون إلى الوراء لا إلى الأمام .. وقد دافعت هدى شعراوى بعد قاسم أمين بشجاعة وإخلاص عن قضية المرأة المصرية خاصة والشرقية عامة .

أخذت هدى شعراوى بشخصيتها القوية تعمل على إزالة الحواجز والتغلب على العقبات غير مكترثة بما تسمعه من ذم ونقد ، ولم يقف فى سبيلها عائق يحول دون بلوغ غايتها فى إنهاض المرأة المصرية ، ولم تحجم عن بذل أى مجهود أو تضحية للوصول إلى الهدف الرائع الذى وضعته نصب عينيها .. وكانت السيدة سيزا نبراوى خير معين لها فى القيام بهذه المهمة العظيمة .

وقد أنشأت السيدة هدى شعراوى الاتحاد النسائى سنة ١٩٢٣ ، فأصبح هذا اليوم من الأيام الهامة التى لا تنسى فى تاريخ تقدم المرأة المصرية وفى تاريخ مصر نفسها ، إذ برزت فيه المرأة تطلب حقوقها بقوة وحزم عاملة لنفسها بنفسها.

وقد وجهت السيدة هدى شعراوى جهودها الأولى من خلال هذا الاتحاد إلى البحث عن وسيلة صالحة لإحلال روح التضامن بين الرجل والمرأة من الناحيتين الفكرية والأدبية لأن ذلك يسهل حل كثير من المشكلات الاجتماعية ، وهذه هى النقطة الأساسية التى تدور حولها جميع المطالب الأخرى .

وفى هذا الوقت ، لم يكن هناك حد أدنى لسن الزواج فيما يختص بالفتاة ، فكان الآباء الجهلة يزوجون بناتهم فى سن صغيرة جداً مما كان يؤدى فى أغلب الأحيان إلى نتائج مفجعة .

وقد طلب الاتحاد النسائى أن يكون الحد الأدنى لتزويج الفتاة من حيث العمر ست عشرة سنة ، وتيسر له تحقيق هذا الطلب فى عهد حكومة يحيى ابراهيم باشا سنة ١٩٢٤ ، وحدث بعد إنشاء الاتحاد النسائى أن عقد فى روما فى شهر مايو سنة ١٩٢٣ مؤتمراً نسائياً دولياً اشترك فيه عدد من السيدات يمثلن ٣٦ بلداً من بينها مصر، وكان الوفد المصرى مؤلفاً من السيدات هدى شعراوى ، سيزا نبراوى ، ونبوية موسى ، ثم انضم الاتحاد النسائى المصرى إلى الاتحاد النسائى الدولى فصار له طابعان، طابع وطنى وطابع دولى .

وكان هذا الاتحاد النسائى بمثابة الحجر الأساسى فى بناء تحرير المرأة ، وكان باكورة نهضتها الصحيحة ، وذلك بفضل جهود هدى شعراوى ومن معها من خيرة النساء المصريات المؤمنات بدور المرأة .

وكان من بواعث الفخر والارتياح للمندوبات المصريات فى مؤتمر روما أن رأين العلم المصرى يخفق عالياً إلى جانب أعلام الدول الأخرى وقد ظهر عليه الهلال متعانقاً مع الصليب مما كان خير دليل على الوحدة الوطنية .

أما بالنسبة لبرنامج الاتحاد النسائى ، فقد كان يشتمل على بنود شتى تتعلق بجميع نواحى النشاط الاجتماعى ، ولذلك دعا الاتحاد إلى الاستعانة

بالأخصائيين من رجال القانون والدين والتعليم والاجتماع وغيرهم لإبداء آرائهم فى مختلف الأمور ، فأنشئت لجنة استشارية من رجال أكفاء أبدوا كل اهتمام بشئون المرأة ومنهم الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ومحمد حسين هيكل باشا والدكتور طه حسين وغيرهم .

وفى سنة ١٩٣٢ احتفل الاتحاد النسائى بالباكورة الأولى للطالبات المتخرجات من جامعة القاهرة ، فشجع ذلك عدداً كبيراً من الفتيات على تقييد أسمائهن فى الجامعة ، وفى ذلك الوقت برزت بضع فتيات ناجحات يلفتن الأنظار ، كانت هدى شعراوى هانم تشجعهن على طلب العلم سواء فى جامعة القاهرة أو فى جامعات انجلترا أو فى السوربون فى باريس ، كما ظهر بجانبهن بعض الفتيات المتفوقات فى ميادين الفن المختلفة كالموسيقى والغناء والرسم والتمثيل .

شجع الاتحاد تعليم البنات فى الخارج وأوفد فى سنة ١٩٣٦ إلى بلجيكا وتركيا بعثة مؤلفة من ست فتيات نصفهن إلى بلجيكا والنصف الآخر إلى تركيا للتخصص فى التدبير المنزلى على نفقته ، وحصلت الفتيات الست على خير النتائج .

وكان الاتحاد النسائى قد رأى إنشاء مدرسة لتعليم الأمهات الفقيرات المبادىء الصحية الأولية ، ولكن هذا المسعى لم ينتج نتيجة ذات شأن إذ كان من الصعب تدريب الأمهات المتقدمات فى السن على اقتباس عادات جديدة ، ومن ثم وجهت المدرسة اهتمامها إلى الفتيات .. طالب الاتحاد النسائى أيضاً بتعديل نظام الطلاق ، وحاول الحد من نظام تعدد الزوجات فى مصر ، وأخذ يسعى للقضاء على بعض المعتقدات الشعبية المصرية لتحسين الحياة الاجتماعية ، وبحث كذلك فى أمر مقاومة التشرد وتحسين حالة الأطفال المشردين .

وقد اشترك الاتحاد النسائى المصرى بزعامة هدى شعراوى بين سنتى ١٩٢٣ ، ١٩٣٩ فى عشر مؤتمرات دولية ، وجعل مصر على إتصال دائم بالغرب وعقدت هذه المؤتمرات فى عدد من العواصم والمدن منها : روما سنة ١٩٢٣ ، الجزائر سنة ١٩٢٥، باريس سنة ١٩٢٦، أمستردام سنة ١٩٣٥، بروكسل سنة ١٩٣٦ ، بودابست سنة ١٩٣٧ وغيرها .

وكان من نتائج الاتصال المستمر بين الاتحاد النسائى المصرى واتحادات النساء العالمية أن أصبحت المرأة المصرية أكثر تقديراً لقيمتها الذاتية من الناحيتين الاجتماعية والأدبية ، وأكثر فهماً لحقوقها وواجباتها فى المجتمع ولمسؤوليتها كزوجة وأم .. كذلك أدى توثيق الروابط بين المرأة المصرية وغيرها من النساء فى العالم الغربى إلى اقبال المرأة على التعليم ومكن فى نفسها حب الاستقلال والرغبة فى إقامة المجتمع فأصبحت مخلوقاً آخر يختلف كل الاختلاف عن المرأة فى العهد السابق .

وكان من نتائج تشجيع الاتحاد النسائى لتعليم البنات بوجه عام أن أصبح بينهن عدد غير قليل من المدرسات والمربيات والطبيبات والأديبات ، وبلغ بعض هؤلاء السيدات مستوى فكرى واجتماعى يضاهى مستوى أعلى النساء ثقافة فى أوروبا وأمريكا .

ونستطيع وفقاً لما تقدم أن نرى مدى نهوض المرأة بفضل جهود الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى ، وإذا كانت عامة النساء المصريات لم تبلغ بعد المستوى الذى بلغه الفريق الناهض منهن ، فإن هذه النخبة بات فى وسعها أن تقود النساء وأن ترفع مستواهن ، وأصبح لها أهمية كبيرة إذ أنها أخذت على عاتقها أن تنشر المدنية الحقة بين عامة المصريات .

وهكذا وبفضل هدى شعراوى ومن كان معها من رواد الحركة النسائية انتقلت المرأة المصرية فى بضع سنوات من بين جدران الحريم إلى الحرية الكاملة ، فباتت مثالاً لنشاط لا حد له ولنضال لم يسبق له مثيل فى مصر .

الفصل الخامس
هدى شعراوى
وقضايا الأسرة المصرية
(البيت السعيد وتنظيم النسل)

كان للدين تأثير كبير فى أخلاقيات هدى شعراوى التى ربطت كل عظاته لتكريس رسالتها فكانت دوماً تقول وتردد قول عمرو بن العاص :

" إياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل والقال " ..

ويمكن القول بأن هدى شعراوى كانت أول من نادى بتوازن الإنجاب مع ظروف الاسرة الاقتصادية ، مؤكدة أن الدين جاء لتكوين المجتمع الفاضل والسمو بشأن الانسان مادياً وأدبياً وحسياً ومعنوياً ، ولتوجيه الناس نحو أسباب هنائهم فى الدنيا والآخرة ، وكانت تقول :

" الدين للحياة ، والدين للأحياء ، والدين لإسعاد الفرد والجماعة ، والدين لتوطيد دعائم المجتمع .. فالدين للدنيا والآخرة .. الدين قوة لا ضعف ، وعزة لا ذلة ، وسيادة لا مهانة ، ولكى يحقق الدين سعادة الفرد والجماعة ، جعل الأسرة أساس المجتمع ، وعمل على أن تكون لبنة قوية متماسكة تسهم فى بناء الكيان العام ، وجعل عماد الأسرة الزواج الذى ينشأ عن عقد تباركه يد الله تعالى ، وتربط به بين الزوج والزوجة، تزكيه بروابط المحبة والمودة والتعاون والمعاشرة الحسنة .. وإذا كانت للزواج دوافع كثيرة منها توفير المعاونة على أمور الحياة ، وتكوين المجتمع الصغير وهو "الأسرة " ليكون سكناً وموطن راحة وغبطة ، فإن من ثمراته أيضاً الذرية والولد لأن فى طوايا الانسان ميلاً قوياً إلى أن يكون له ولد تتجدد به حياة والده " .

وكانت هدى شعراوى تؤكد أن الزواج ليس مجرد متعة أو تسلية ، إنما هو تبعة ومسئولية .. وكذلك الذرية لها تبعاتها وو جباتها ، فلا يكفى أن يتزوج الإنسان دون أن ينهض بواجباته نحو زوجته وأولاده .

وتواصل هدى شعراوى كلامها :

" ومن الظواهر الوخيمة العواقب أن البعض وبخاصة فى البيئات التى لم تنل حظها الكافى من الثقافة –يقدمون على الزواج دون استعداد أو إعداد ، وكأن الزواج فى نظرهم متعة ساعة ، أو رحلة يوم ، أو تسلية أيام .. وما يكاد الواحد منهم يرتبط بالزواج حتى تقابله تبعات وواجبات ، ينوء تحتها ويعجز عنها ، لأنه لم يحسب حسابها ، ولم يفقه كتابها ، ولم يتخذ لها أسبابها .

وتتعرض هدى شعراوى لكثرة الإنجاب ، فتقول :

" حب الانسان للذرية أمر فطرى ، لا يخرج عليه إلا منحرف أو غير سوى ، لكن كثيراً من الناس يعتقدون أن مجرد كثرة الذرية دون غيرها علامة من علامات رضا الله وتوفيقه ، مع أن الذرية الكثيرة تعطى للصالح والطالح وللمؤمن والكافر ، فليست هى المقياس الذى يقاس به مبلغ الرضا أو التوفيق .. فكثرة الأولاد ليست هى كل شئ، بل المهم أن يكون هؤلاء الأولاد صالحين مستقيمين معافين فى دينهم ودنياهم "

وفى جميع منتدياتها النسائية وجمعياتها الخيرية وندواتها الفكرية ، كانت هدى شعراوى تحض على تنظيم الأسرة حيث قالت :

" قد تنشأ عوامل أو أسباب تدعو الإنسان إلى تنظيم أسرته أو تنظيم نسله بحيث لا يفتح الباب على مصراعيه ، بل يجعل هناك فترات متباعدة بين مرات الحمل أو يقفله حيناً من الزمن ، وينشأ عن ذلك أن يكون عدد الذرية قليلاً ، نزولاً على مقتضيات تلك العوامل والأسباب " .

وتلخص هدى شعراوى الأسباب التى تدعو الناس الى تنظيم الأسرة فيما يلى:

١- أن تكون المرأة عندها استعداد قوى ظاهر للحمل بمجرد انتهائها من آثار الحمل السابق .. حتى أن بعض الناس يتندرون على هذا النوع من النساء، ويقولون أن المرأة حينئذ تكون كالأرانب الموصولة الأنسال بلا انقطاع .

٢- أن يكون هناك مرض معد فى الزوجين أو أحدهما ، ولو نشأت ذرية عنهما والمرض موجود –لانتقل المرض إلى هذه الذرية فتشقى .

٣- الخوف على صحة المرأة وجمالها بسبب الحمل المتكرر .

٤- الضعف الاقتصادى بحيث لا يكون لدى الزوج اقتدار مالى على النهوض بتبعات الذرية إذا كثرت .

وتواصل هدى هانم وجهة نظرها فى تنظيم الأسرة بقولها :

" يحسن أن ننبه إلى أن تنظيم الأسرة ليس من شأنه أن يكون قانوناً مصبوباً من مواد تطبق على الجميع ، أوبصفة مستمرة ، بل هو أمر نسبى يخضع لظروف الأفراد وأحوالهم ، وقد يكون تنظيم الأسرة فى قطر من الأقطار مختلفاً تماماً عنه فى قطر آخر ، فلو شكا قطر من تضخم السكان صار فى حاجة إلى التنظيم، وإذا كان هناك قطر آخر يقل فيه النسل صار فى حاجة الى الإكثار منه.. والأمر قريب من هذا فيما يتعلق بالأفراد ، فهذا الفرد قد تضطره ظروفه إلى أن يكون قليل الذرية ، وذلك تدعوه ظروفه إلى أن يكون وسطاً ، وذلك تحتمل ظروفه أن يكون أكثر من سابقه قليلاً فى الذرية ، وهكذا .. والمهم هو ألا نقذف بالذرية الى الحياة ، ثم ندعها نهباً للفقر والمرض والجهل والجوع والتشريد ، ثم أن بعض الشعوب قد يأخذ بتنظيم الأسرة فترة من الزمن ، ثم يتعرض لظروف قاسية يتناقص بها أفراده ، فيرى أن من واجبه أن يعود إلى التكاثر ، وهكذا .. ".

إن خلاصة الأمر من وجهة نظر هدى شعراوى هى أن تنظيم الأسرة يجب ألا يكون نظاماً جامداً متحجراً ، بل لابد وأن يتبع الظروف والمناسبات ، ويتبع أحوال الأفراد المختلفة ، فإذا نهضت الدواعى الملزمة له الملجئة إليه كان لنا أن نأخذ به فى حدود دواعيه ، وإذا زالت هذه الدواعى أو أمكن علاجها فإنه لن يبقى هناك ما يدعونا اليه .

نحو بيت سعيد :

كانت هدى شعراوى تقول ان الزواج الموفق يعتمد على شيئين :

حسن الاختيار وسلامة الاختبار ، أما حسن الاختيار فيعتمد على الاستشارة وإخلاص النية ، فيكون الاختيار للشخص لا للشئ ، وأما سلامة الاختيار فالمقصود منها محاولة كلا الطرفين التعرف على شريكه فى مرحلة الخطبة كى يلاءم نفسه لصفاته ، حتى إذا ما أقدما على الزواج كان كلاً منهما مستعداً للتضحية ببعض رغباته وعاداته لإرضاء شريكه عاملاً على إنجاح الشركة .

تقول هدى شعراوى فى إحدى محاضراتها التى نشرت فى مجلة الفصول فى عدد ديسمبر ١٩٤٦ العدد ٣١ المجلد ٥ أنه لا فائدة من التظاهر بغير الحقيقة قبل الزواج ، وأن من القصص الطريفة أن خاطباً أراد أن يتحقق من سعة صدر خطيبته ، فتعمد سكب زجاجة حبر على جلبابها الأنيق ولكنها على الرغم من ذلك لم تظهر إمارات الغضب أو الثورة عليه مؤكدة لمن حولها أن ذلك كان رغم غرابته غير مقصود ، ثم حدث بعد الزواج أن داس زوجها عفواً على طرف ثوبها فنهرته فى عنف .. ولما سألها تأويل هذا العنف وهى الحليمة لما سكب على جلبابها الحبر قبل الزواج أطلعته على أثر عضة محفورة فى ذراعها بشكل مروع قائلة : " إن هذه العضة كانت من نصيبك لولا أنى كظمت غيظى حينذاك " .. كان صبرها مزيفا مصطنعاً ولكن التزييف لم يفدها فى حياتها الزوجية ، وكان أحرى بها أن تظهر على سجيتها محاولة تحسين وتهذيب نواحى شخصيتها جهد المستطاع ، بل لعلها تحسن إذا ما تعاونت مع شريكها على تحويل نقط الضعف فيها إلى قوة بدلاً من التصنع وإخفاء الحقائق التى لابد أن تبدو مهما تحاول إخفاؤها إن عاجلاً أو آجلاً .

وقد جاء فى إحدى محاضراتها كلام عن " الرضا " حيث قالت :

" كثير منا لا يعيش قانعاً رغم العديد من النعم التى تزين حياته .. وينظر إلى حياة الغير بعين الحسد والتمنى لما لديه وينسى أو يتناسى ما لديه من فرص الحياة الجميلة الممتعة .. " .

وتستشهد بما قاله الفيلسوف الهندى " أوشو " :

" يعيش الناس باستمرار فى حالة عدم رضا تجاه كل شئ ، فليس كل من كان لديه الكثير من المال وأفضل بيت وأفضل زوجة وأفضل ابن وأفضل عمل يشعر بالرضا .. لا ليس هذا ما يرضيهم لأنهم ببساطة مهما ملكوا فسيبقون مستائين غير راضين سواء كانوا فقراء أو كانوا أغنياء " .

وتقول هدى شعراوى : " أن عدم الرضا هو حالة عقلية .. العقل يحيا عليها .. إنها من طبيعته ، فلن يمنحك العقل الشعور بالرضا .. ولذا يجب أن يتبع الإنسان القناعة من داخله وأن يكون محباً للخير وللغير " .

وجهة نظر هدى هانم شعراوى فى الزواج :

وضعت هدى شعراوى عدة قواعد يمكن للأزواج من خلالها تحقيق الاستقرار والسعادة الزوجية :

- الغيرة .. وهى أمر طبيعى فى العلاقة الزوجية ، لكن المشكلة هى أنها يمكن أن تتحول الى حالة مرضية بالمبالغة فيها ، والغيرة منبعها فقدان الثقة بالنفس والخوف من فقدان الآخر، ومبعث الغيرة كما ترى هدى شعراوى هو الرغبة فى التأكد من حب الطرف الآخر ، لكنها إذا ما صبغت العلاقة الزوجية بظلها الثقيل فإنها تتحول إلى حالة مرضية .
- حكم العادة .. أحيانا يجد الرجال بالذات صعوبة فى الانتقال من حياة العزوبية إلى العيش فى إطار حياة زوجية مشتركة وهو ما يؤرق الزوجة .. وقد يعنى هذا أحياناً أن هذا الرجل غير مستعد أو غير مؤهل للعلاقة الزوجية من حيث المبدأ ، ومن هنا فإن على الزوجة محاولة تغيير عادات الزوج على أن يتم ذلك بشكل يرضاه هو ، وهذا اختبار لذكاء المرأة .
- الأطفال .. وهم نعمة من الله يتمناها كل زوجين لكن مجئ الأطفال لا يخلو دائماً من مشكلات تؤثر على حياة الزوجين نتيجة ما يشعر به الزوج من حرمان من قدر كبير من الاهتمام الذى كان يحظى به قبل مجئ الطفل .. إنه شريك جديد فى العلاقة .. دائم الطلب والإزعاج ، وبرغم ما تكون عليه الزوجة من تعب وإرهاق فإن عليها فى تلك اللحظات بالذات أن تجدد عهود الحب للشريك .
- صمت الأزواج .. تنصح هدى شعراوى الزوجين بضرورة المواجهة والتعبير بصوت مرتفع وواضح عن مشاعر كل طرف تجاه الآخر ، فإذا ما أساء أحدهما إلى الآخر يكون على هذا الآخر أن ينبهه إلى هذا وأن يمنحه الفرصة لتعديل سلوكه .. عليهما أن يعبرا عن كتمان المشاعر والتربص فالمواجهة قد تكشف عن مبرر منطقى لهذا التصرف أو ذاك .. وهى خطوة كبيرة فى سبيل إزالة أسباب الخلاف فالصمت يخلق الظن والافتراض ..

- النقود .. النظرة المختلفة للمال من أكثر مصادر التنغيص فى حياة الزوجين، فحجم الدخل المالى ليس المشكلة ، بل هى طريقة إنفاق كل منهما لهذا الدخل، فإذا كان الزوج من النوع المبذر والزوجة مقترة بطبعها .. فنحن أمام مشكلة مستعصية .. وبوجه عام فإن قلة الدخل تشكل ضغطاً مستمراً على الزوجين تضاعف من مشكلات الحياة اليومية بينهما .
- العنف .. استخدام العنف فى العلاقة الزوجية أمر غير مقبول على الاطلاق ولكنه يحدث للأسف بين بعض الأزواج وعادة تكون الزوجة هى الضحية وهو ما يؤثر على حالتها النفسية ويجعلها تفقد الثقة بنفسها ويؤثر سلبياً على العلاقة الزوجية ككل ، وعلى الزوجة ألا ترضخ لعنف زوجها لكن عليها أيضاً ألا تبادل العنف بعنف وإلا تحول عش الزوجية إلى غابة .
- الخيانة الزوجية .. وهى ليست طبعاً ، وإنما فى أغلب الأحوال وليدة مشكلة ما داخل العلاقة نفسها .. إنها نوع من الهروب كوسيلة أسهل من المواجهة لذلك فعلى الزوجة ضحية الخيانة ألا تقف عند فعل الخيانة وحده .. بل عليها أن تمد بصرها إلى ما وراء ذلك بحثاً عن السبب الحقيقى .

وحول " البيت " تقول هدى شعراوى :

" ما أبعد الفرق بين صورة البيت فى عقول الناس على إختلافهم .. البيت عند البعض أحسن نعمة ، وهو المكان الذى يكون فيه الحب أنقى وأعز وأعمق منه فى أى مكان آخر .. البيت عند هؤلاء هو المكان الذى تضمد فيه الجروح وتواسى الأحزان وتجبر الصدمات ، هو سكن نفوسنا .. البيت هو حيث نجد أكثر الناس فهماً لنا وعطفاً علينا وثقة بنا ، وحيث يمكننا أن نظل على سجيتنا فى غير خشية من أن يساء فهمنا.. هو المكان الذى تمتحن فيه السنون إخلاص وولاء من نحب ونفضله على أنفسنا .

ولكن آخرون يصفون البيت بأنه المكان الذى نرغم فيه على مراعاة رغبات وإرادة الغير ، المكان الذى لا يمكننا فيه أن نفعل ما نريد ، المكان الذى يمرض الأطفال فيه ويحتاجون إلى العناية والتضحية ، المكان الذى تنشأ فيه المشاكل التى يصعب حلها ، المكان الذى نجبر فيه على أن نخلص فى حبنا ونستديم فيه ،

المكان الذى تقيد فيه حريتنا ونضطر كل يوم إلى تقديم تضحية جسيمة وإنكار مضن للذات ، وكل سنة إلى تضحية أجسم .

إن النعمة فى الصورة الأولى يقابلها الواجب الثقيل المضنى فى الصورة الثانية ، ولكن هل هناك نعمة من غير تضحية ؟ .. إن الفهم الصحيح للبيت هو الفهم الذى يجعل الأخذ والعطاء متلازمين .. وبذلك تكتمل الصورة الصحيحة وتزداد الأيام متعة ونزداد حباً وتقديساً لواجبنا ، كما نزداد سعادة وهناء بما يضفيه علينا البيت من نعمة وراحة ..»

الفصل السادس
تراث هدى شعراوى
الفكرى والاجتماعى

من الذين تعلمت منهم هدى شعراوى وقرأت لهم الكثير وتأثرت بهم فى أفكارها، عبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٨-١٩٠٢) ثم الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ -١٩٠٥) ، وكلاهما تعرض للحرية والمساواة بين الجنسين ، فضلاً عن أن تفسير الشيخ محمد عبده للقرآن الكريم كان له أثره الكبير على هدى هانم .

وكانت هدى شعراوى تسير على نهجه فى محاربة الأفكار الموروثة ، واقتبست من أقواله ما يلى :

" المرأة كانت قبل القرن التاسع عشر فى الشرق جاهلة ، تربى داخل البيوت تربية منزلية ولا تعرف شيئاً مما وراء البيت ، ضيقة العقل محصورة الأفق ، وهى التى يعهد إليها بتربية الجيل ، فلما جاءت المدنية الغربية إلى الشرق أخذ عنها تعليم البنت وتربيتها وتهذيبها وتم فتح المدارس فكان هذا تطوراً اجتماعياً خطيراً .. " .

وكانت هدى شعراوى تقول عن نفسها :

" لقد نشأت صريحة فى القول ، أبدى الرأى بأمانة إذا طلب منى ، ولا أتطفل به على أحد ، ولا أعرف المجاملة فى الحق على اعتبار أنها غواية وتضليل .. كنت أمينة لضميرى : إذا أحببت أقبلت ، وإذا كرهت أعرضت .. ابتسم لما يسرنى وأغضب لما يغضبنى .. أمتدح الخير جهاراً .. وأذم الشر علانية .. أغفر الإساءة ولا أردها .. أجد دافعاً لمن يسىء إلىّ وعذراً لمن يخطىء فى حقى .. رأسمالى الوفاء وبذلت جهدى فى تنميته .. فرددت الجميل بأحسن منه ، وأخلصت الحب لأصدقائى وأجهدت قلبى فى سبيلهم وكنت أشقى لآلامهم .. سعدت لأفراحهم وواسيت جراحهم وشاركتهم بروحى فى سرائهم وضرائهم .. " .

آمنت هدى شعراوى من خلال قراءاتها بضرورة طلب مساواة المرأة بالرجل فى جميع الشئون لأن الوطن يحتاج إلى مصلحين ومصلحات ، وتشبعت بكل ما قرأته

من مقالات صحفية وكتب اجتماعية اهتمت بقضية المرأة ومشكلات الأسرة .. وأعدت نفسها لحمل رسالة تحرير المرأة والدعوة إلى إصلاح أحوال الأسرة المعيشية .

الكتب التى أثرت فى هدى شعراوى :

قرأت هدى شعراوى مجموعة من الكتب أثرت فى تفكيرها وجعلتها تصر على تحمل أمانة الرسالة الخاصة بتحرير المرأة .

وكان كتاب رفاعة الطهطاوى " المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين " هو أول ما وقعت عليه عينى هدى شعراوى ، وهذا الكتاب رغم صغر حجمه إلا أنه كان أول مناداة فعلية بضرورة الاهتمام بتربية البنت وأنها لا تقل عن الفتى عقلاً وإحساساً .

آمنت هدى شعراوى بما جاء فى كتابات الطهطاوى من أن حرية المرأة لا تتحقق بدون حرية الرجل نفسه ، وذلك لأن الطرفين يحيوا تحت طائلة مجتمع يقوم على الاستبداد الأسرى والعائلى ، فالحكم عند زواج الفتاة أو الشاب خاضع فى المقام الأول لاختيار رب الأسرة .

كما قرأت هدى شعراوى مجموعة من القصص والروايات التى كانت تنادى بحرية المرأة ، وأهمها رواية زينب فواز المعنونة باسم "حسن العواقب أو غادة الزاهرة" والتى طبعت سنة ١٨٩٩ ، وكان المعنى الأعمق للرواية أنه لا يمكن أن توجد امرأة متحررة بجوار رجل مقهور لأن ذلك المقهور لن يؤمن بحرية المرأة وأنه سيكون على الاثنين معاً أن يناضلا من أجل التحرر .

أما تأثر هدى شعراوى بكتابى قاسم أمين " —تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة" - فقد كان كبيراً .. فمن خلال قراءتها لهما آمنت بحق المرأة فى التعليم ، وحقها فى العمل وحقها فى المطالبة بالمساواة مع الرجل .

وكانت هدى شعراوى تقول دائماً بعد كثرة قراءتها لما كتب عن تحرير المرأة أن هناك هوة كبيرة ما بين التاريخ الفعلى لمشاركة النساء فى نضال شعوبهن وبين تسجيل هذا التاريخ ، حيث أهمل التاريخ المدون تسجيل مشاركة النساء فى حين أنه اهتم بروايات الرجل ، وأن ذلك قد جاء ضمن الانحياز لتاريخ الرجل .. مما أدى إلى تعرض تاريخ المرأة إلى الضياع والتشويه مع مرور الوقت .

قرأت هدى شعراوى لمن سبقها فى المناداة بحقوق المرأة ، ومساواتها بالرجل.. قرأت لعائشة التيمورية وسلامة موسى ، ومحمد مندور وغيرهم ممن كان لهم دور هام فى الدفاع عن حقوق المرأة .. واعتبرت أن للأدب دوراً هاماً فى تربية مشاعر المرأة وتبصيرها بدورها ، ولذلك فقد نادت بأن يكون التعليم للمرأة هو المفتاح للحصول على حريتها وللدفاع عن كيانها ولرفع أى ظلم عنها .

وما أكثر ما قرأته هدى شعراوى ، ولكن الأمر الأكثر أهمية هو أنها خرجت من قراءاتها بالآتى :

أولاً : أن المرأة لا يمكن أن تحصل على حريتها فى ظل الجهل وضيق الأفق وقناعتها بدور متواضع فى بيتها .

ثانياً : أن عمل المرأة جنباً إلى جنب مع تعليمها وثقافتها من الأمور الأساسية لتحرير المرأة من العادات والتقاليد البالية ومن الكثير من الخرافات التى تعوقها عن احتلال موقعها فى المجتمع .

ثالثاً : أن الإسلام يكفل حقوق المرأة على عكس ما يطنه البعض فى ظل وجود تفسيرات خاطئة لنصوصه .

رابعاً : إن مشاركة المرأة فى جهود التنمية هو إضافة للموارد البشرية للوطن .

خامساً: أن خدمة الوطن هى الواجب الأول المنوط بالشباب فى كل زمان ومكان.. فليفكر الشباب حراً طليقاً فى كل مسألة من مسائل هذه الدنيا تعرض له فى حياته الخاصة أو حياته العامة .

ومن أقوال هدى شعراوى يتجلى لنا حرصها على الأسرة والبيت وتربية الأولاد فهى مصلحة اجتماعية بالدرجة الأولى ، مما يجعلها فى مصاف أولئك العظماء من المصلحين الاجتماعيين فى كل زمان ، خاصة وأن أقوالها تصلح للكثير من المجتمعات البشرية .

وحول الدور المتضامن للرجل والمرأة فى بناء المجتمع .. تقول هدى شعراوى :

" ما أجهل اللاتى والذين يتشدقون من الجنسين بمزايا جنس على جنس ، أو يحطون من قدر جنس بالنسبة للجنس الآخر من البشرية ، وخاصة إذا قادنا هذا إلى تجاهل ضرورة تعاون الجنسين إن أردنا لأمتنا نهضة سليمة مدعمة

الأسس.. وما هؤلاء الذين يسخرون العلم أو اللسان فى الحط من شأن الجنس الآخر دائماً ، وما أعجب من يدّعون كره النصف الآخر من الإنسانية .

هؤلاء وهؤلاء يقيسون النوع كله بمقياس تجاربهم الخاصة وإنها لقليلة لو يعلمون .. كيف يمكن لنصف الإنسانية أن يكره نصفها المكمل .. أو كيف يمكن لنصف الإنسانية أن يرتفع بجناح واحد أو يتقدم بقدم واحدة أو يصفق بكف واحد أو يشعر بنصف قلب أو يفكر بنصف عقل ؟ .. كلنا يعلم استحالة هذا .. " .

وعن الزواج تقول هدى شعراوى :

" إن الزوجة الناضجة هى التى تعلم أن الزواج ليس رحلة كتب فيها على زوجها القيادة وعليها الركوب ، بل هى التى تقدر أن الرجل لا تنمو مواهبه إلا إذا دفعته امرأة ، وأن الطريقة الوحيدة لكسب رضاء زوجها هى أن تنمى من شخصيته وتطرى أعماله ، فتجعله بذلك مرتبطاً بها لأنه يجد فيها بغيته ، وهى التى تعلم كذلك أن الجمال والجاذبية ليسا هما الرباط الوحيد الذى تستطيع به أن ترتبط بزوجها ، فكم من أزواج هجروا زوجاتهم على الرغم من جمالهن ليعيشوا فى كنف امرأة تعرف كيف تسعدهم " .

كانت هدى شعراوى تقول إن الخوف من الفشل هو أكثر أنواع الخوف شيوعاً فى المجتمع ، وهو الأداة التى تحطم كثيراً من الناس نفسياً وخلقياً رغم مواهبهم وكفاءتهم ، وكانت تقول أن فى مقدور أى إنسان أن يتخلص من هذا المرض ، وأن السبيل إلى ذلك هو معرفة ما هو الخوف وكيف يتسلل إلى النفس ، وما هى الأشكال التى يتخذها ويتخفى فيها ، وكيف يستطيع أن يقهره ويدفع شره .

وتقول هدى شعراوى إن الخوف هو أحد غريزتين تسيطران على الإنسان وتتحكمان فيه ، أولاهما غريزة الرغبة فى السعادة والسلام والحب والوفرة ، وثانيهما هى غريزة الإشفاق من فقد هذه الأشياء التى يرغب فيها كل إنسان سليم الإدراك صحيح التقدير.. فالخوف إذاً هو غريزة إنسانية لها عملها ولها خطورتها ، وينبغى أن يكون فى نفس كل إنسان قدر من الخوف يستخدمه فى الوقت الملائم وفى المكان المناسب ليدفع عن نفسه كثيرا من الأخطار .. وهذا هو الخوف الطبيعى الذى يخلق فى النفس كثيراً من الصفات الطيبة كالحذر وحسن

التقدير ، ويصونها عن كثير من الصفات السيئة كالهوس والتهور . بل أن هذا الخوف يبعث فى الجسم شيئاً من الصحة والنشاط لما له بين حين وحين من تأثير فى دورة الدم ونبض القلب .

وتحدد هدى شعراوى أهم هذه المخاوف بالخوف من المرض ، والخوف من الحب ، والخوف من الموت ، والخوف من الإخفاق .. وتختم أقوالها حول الخوف .. بأن الرجل الذى يعانى خوفاً نفسياً مرضياً يخسر نصف معركة الحياة قبل أن يخوضها . والذى تخلص نفسه من هذا المرض الخطير ، ولا يبقى فيها إلا الخوف العادى المألوف ، هو الذى يكسب نصف معركة الحياة قبل أن ينزل إليها .

وكانت هدى هانم أيضاً تحذر الأهل من تعمدهم إخفاء آلامهم ومشاكلهم عن الأطفال مؤكدة أن الطريقة الفضلى لتنشئة أطفال أقوياء هى مصارحتهم دائماً بالحقيقة .. فكانت تقول :

" إننا عندما نشارك أولادنا فى المشاكل والأزمات فإننا نعلمهم درساً أساسياً عن أنفسهم ، وفى المدى البعيد نجد أن أعظم فوائد الصدق مع الأولاد هى أننا نضع القدوة الحسنة والمثل الصالح لهم ، والولد الذى يطّلع على الحقيقة يصبح أقدر على الجهر بما يحدث له " .

كانت هدى شعراوى شديدة الاعتزاز بعروبتها ، ويتضح ذلك من قولها :

" إننا أمة لها مميزاتها الخاصة بها كأمة عربية ، لها عقيدتها السمحة ، وحضارتها العربية وتراثها الأصيل وتاريخها الناصع وقيمها النبيلة .. لذلك يجب أن يشب أبناؤنا على الولاء الوجدانى العميق لهذه الأمة ، وعلى الاعتزاز بالانتماء إليها انتماءً لا يخالجه الشك ، ولا يحاصره التردد مهما كانت الصعوبات والتحديات .. ولأجل كل ذلك يجب أن نحافظ على أصالتنا ، وعراقتنا وتراثنا وأعرافنا وتقاليدنا المستمدة من ديننا الحنيف ، بحيث تبقى لنا شخصيتنا المتميزة .. علينا أن ندرك فى وطننا العربى أننا أقوياء بقدر ما نتضامن ، وأننا ضعفاء بقدر ما نتباعد .. نحن أقوياء بالله وبديننا ثم بأنفسنا وأصالتنا ووعينا وحسن استخدام إمكاناتنا " .

نادت هدى شعراوى بضرورة تدريس مادة التربية القومية ، وهى التى تقول

لشبابنا أن مصر جزءٌ من الأمة العربية ، وهى التى تكشف لهم عن معنى العروبة والتراث العربى .. وكانت تقول :

" كيف يمكن أن نخلق الوعى القومى لدى الشباب وندافع عنه ؟ .. إن ذلك لن يتم إلا بالمحافظة على مادة التربية القومية فى المدارس والجامعات " .

وكان من أهم أقوال هدى شعراوى : " كى تعيش سعيداً افعل الآتى :

- كل واشرب فى اعتدال لكى تحتفظ بصحتك .
- اقرأ أفضل ما يكتب لكى تثقف عقلك .
- ادرس السياسة وراقب الساسة لكى تعرف كيف تسوس أطفالك .
- اقرأ الكتب الدينية لكى تشعر براحة النفس .
- كن مخلصاً وأميناً لكى يسلم لك شرفك .
- اختر الفتاة الصالحة لكى تكون زوجتك .
- القدرة على تذليل الصعاب الكثيرة التى تعترض كل إنسان فى طريقه هى بلا شك سلاح قوى يعين على الفوز فى معركة الحياة .

كما أنها كانت تقول أن " وراء كل رجل عظيم أم " ، وقولها هذا له ما يبرره ، فنجاح الرجل لا يمكن فيه إغفال المصدر الأساسى للتربية وهى الأم .

الفصل السابع
تقييم الدور السياسى لهدى شعراوى

كان الدور السياسى الذى لعبته هدى شعراوى فى التاريخ المصرى لا يقل أهمية عن الدور الإجتماعى الذى لعبته من أجل حرية المرأة وإعادة بناء المجتمع على أسس جديدة ، والدور الذى لعبته فى التظاهر ضد الإنجليز وتشجيعها بنات جنسها على الوقوف صفاً واحداً مع رجال مصر للتصدى للاحتلال امتلأت به سطور كتب التاريخ ، كما أن الاحتجاجات التى قدمتها والبيانات التى وزعتها أكدت هذا الدور.

قامت هدى شعراوى فى أوائل يناير سنة ١٩٢٠ بتأليف لجنة السيدات ثم أصبحت رئيسة اللجنة المركزية للسيدات فى حزب الوفد .. وبهذه الصفة قامت فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢١ بإرسال خطاب إلى عدلى يكن باشا رئيس وزراء مصر وقتئذ تعبر فيه عن أمل نساء مصر فى عدم التنازل عن مطالب مصر الوطنية ، وتعلن مؤازرتهن لمهمة وفد المفاوضات ، كما تعلن تعاطف الأمة كلها معهم ، وترجوهم بعدم نسيان شهداء الوطن من الرجال والنساء ، وقد تلقت لجنة الوفد المركزية للسيدات رسالة شكر من عدلى باشا رداً على الخطاب السابق مع وعد منه بالعمل لصالح مصر حكومةً وشعباً .

وفى ديسمبر سنة ١٩٢١ وفى أعقاب فشل المفاوضات ، تم نفى سعد ورفاقه للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل ، فأرسلت لجنة الوفد المركزية للسيدات احتجاجاً إلى كل من وزير الخارجية البريطانى فى لندن وإلى المعتمد البريطانى فى مصر ، وتوالت الاحتجاجات على صفحات الصحف والمجلات النسائية ، والتى أكدت هدى شعراوى فيما كتبته منها على أن اعتقال سعد لن يكون سوى خنق صوت واحد من المصريين يتفجر على أثره أصوات أربعة عشر مليوناً من الوطنيين هم أبناء مصر للمطالبة بحقهم فى الحرية واحتجاجهم على الظلم .

طالبت هدى شعراوى فى بيان هام باسم لجنة الوفد المركزية للسيدات بدستور يحقق رغبات الشعب ، ولم تلبث أن أرسلت خطاباً إلى يحيى باشا إبراهيم رئيس وزراء مصر فى ١٨ إبريل ١٩٢٣ قالت فيه :

" أنه قد هالنا التصريح بعزمكم إصدار قانون التضمينات لرفع الأحكام العرفية (كان هذا القانون ضاراً بمصلحة البلاد إذ يعطى كثيراً من الحقوق للدولة المحتلة) لتكون انتخابات البرلمان فى جو حر حيث كان تصريح ٢٨ فبراير يقول بإيقاف الأحكام العرفية وقت الانتخابات وتأجيل قانون التضمينات حتى يبت فيه البرلمان .. إن الشعب المصرى بأسره لا يقبل ولا يرضى بأى حال من الأحوال أن يصدر قانون تضمينات فيه مساس باستقلالنا ، ولا يقر ولا يعترف بقانون لم يعرف مواده ولم يؤخذ فيه رأيه .. لذلك نطلب منكم بإلحاح العدول عن هذه الطريقة الخطرة وإرجاء هذا القانون للبرلمان فتخلوا أنفسكم من المسئولية الكبرى وتتقوا شراً عظيماً يصيب أمة أنتم منها ولا يزال فى الوقت متسع لتلافى هذا الخطر " .

ومن المواقف التى أغضبت هدى شعراوى بشدة ، أنها فوجئت بأن المرأة المصرية لم يقبل طلبها لحضور افتتاح البرلمان فى الوقت الذى دعيت فيه سيدات أجنبيات لحضور هذا الحفل ، فكان أن أصدرت فى ١٦ مارس عام ١٩٢٤ بيان احتجاج جاء فيه :

" لجنة الوفد المركزية للسيدات تحتج بشدة بصفتها هيئة تمثل الأمة التى اشتركت فى الجهاد والتضحية لاستقلال بلادها على رفض طلبها لحضور حفل افتتاح البرلمان ، وترى فى إغفال وزارة الشعب دعوتها فى وقت دعت فيه سيدات أجنبيات عملاً لا يليق بكرامة المرأة المصرية " .

ولا يجب أن ينسى التاريخ موقف هدى شعراوى من حركة المقاطعة للبضائع الإنجليزية ، ذلك القرار الذى كانت له نتائج باهرة ، حيث حددت هدى هانم ملامح ما طالبت به فى بيان نشرته فى صحيفة " المرأة المصرية " ، وقد جاء فيه:

أولاً : الاحتجاج على الحكومة المصرية بشأن تصرفها الأخير فى المسألة المصرية وفى مسألة السودان ، على أن يبلغ هذا الاحتجاج إلى الحكومة المصرية والانجليزية .

ثانياً : المقاطعة العامة لكل ما هو انجليزى داخل مصر وخارجها ومطالبة الحكومة المصرية بمشاركة الشعب فى هذه المقاطعة ، وأول ذلك :

أ - سحب الودائع والأموال التى لها فى البنك الأهلى .

ب - سحب مكتب الحكومة المعين فى انجلترا لمباشرة مشترياتها وإلغائه أو نقله لمكان آخر .

ج - منع سفر العمال المصريين إلى السودان واستدعاء الموجود منهم فى عمل الخزانات هناك ، ومن كان فيهم مرتبطاً بعقد لمدة معينة فيؤمر بالعودة عند انتهاء تلك المدة لكى لا تساعد مصر بأيدى أبنائها على إقامة تلك الخزانات التى فى إتمامها خطر على مصالحها .

ثالثاً : طلب الإفراج عن المقبوض عليهم فى السودان بسبب الحوادث السياسية التى لا يعاقب عليها قانون العقوبات المصرى والعمل على عدم تنفيذ الأحكام الصادرة ضدهم .

موقف هدى شعراوى من معاهدة ١٩٣٦ :

كان لهدى شعراوى موقفاً خاصاً من معاهدة ١٩٣٦ ، تلك المعاهدة التى شارك فى توقيعها والتفاوض عليها مجموعة من كبار السياسيين المصريين وممثلين عن معظم الأحزاب المصرية بقيادة مصطفى النحاس باشا ، ورغم أن هذه المعاهدة قد قوبلت بتأييد عناصر كثيرة من الأمة ، إلا أنها فى ذات الوقت قوبلت بمعارضة من الحزب الوطنى ومن العناصر اليسارية فى مصر ، وكذلك بمعارضة نسائية بقيادة هدى شعراوى إيماناً بمبدأ " لا مفاوضة إلا بعد الجلاء " .

وكانت هدى شعراوى قد رأت أن هناك ثمة تعارض أو تناقض بين المادة التى تنص على إنهاء الاحتلال العسكرى البريطانى والمادة التى تقضى بإبقاء الجنود البريطانيين فى بعض المناطق الهامة فى مصر (وهى مدن القناة).

وعلى أثر عودة النحاس باشا من توقيع المعاهدة ، أرسلت إليه هدى شعراوى رسالة مطولة أوضحت فيها أهم أمانى المرأة المصرية وطالبت فيها بالآتى :

- إجراء انتخابات نزيهة تمثل فيها كل فئات الشعب .
- العمل على إلغاء المحسوبية ومواجهة الفساد الإدارى فى البلاد .
- إطلاق حرية الصحافة .

- الحد من الإنفاق الحكومى .
- دفع الاقتصاد الوطنى إلى الأمام .
- رفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة .

وأرسلت هدى شعراوى تحتج على التكاليف الباهظة التى ستدفعها مصر بناء على نصوص معاهدة سنة ١٩٣٦ فى الوقت الذى يطالب فيه النحاس باشا بخفض النفقات .

ولكن النحاس باشا لم يرد على هدى شعراوى مما جعلها تنشر رسالة أخرى وجهتها إليه احتجاجاً على خطأ البرلمان المصرى تجاه الوطن والشعب .

ولم يلبث الوضع أن تأزم بين النحاس وهدى شعراوى خاصة بعد انسلاخ محمود فهمى النقراشى وأحمد ماهر عن الوفد وتكوينهما حزباً جديداً أطلقا عليه "الهيئة السعدية " حيث أيدتهما هدى هانم ضد النحاس ، ونشرت مقالاً طويلاً عاتبت فيه النحاس باشا تحت عنوان " أخطاء السياسة الداخلية فى عــام .

وعندما وقع حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ والذى اعتدت فيه بريطانيا على سيادة مصر واستقلالها حينما أجبرت ملكها على تكليف مصطفى النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية وإلا سيكون الثمن هو تنازله عن العرش ، أرسلت هدى شعراوى رسالة إلى السفير البريطانى ومعها توقيع ثمانمائة وأربعون سيدة يقلن فيها :

" لقد روعنا ، نحن نساء مصر ، وأذهلنا ذلك التهور فى تصرفكم الشاذ الذى اتخذتموه ضد مصر فى شخص مليكنا المحبوب مستهترين بشعور المصريين الذين بذلوا كل مجهود لمعاونتكم فى أشد محنة فى تاريخ بريطانيا وقاسموكم العزاء فى هذه الظروف العصيبة التى لا يعلم مصيرها إلى الله .

فكان بدلاً من أن تحمدوا لهم هذا العمل وتعرفوا لهم هذا الجميل وتقدروا تضحياتهم بالنفس والنفيس من أجلكم ، أن دستم حرية استقلالهم وطعنتموهم فى موضع العزة منهم فتوجهتم بدباباتكم وعرباتكم المصفحة وجنودكم المسلحة إلى قصر عابدين وهددتم ملك بلادنا العريقة كأنما نحن أعداؤكم لا حلفاؤكم .

فأين ياسيادة السفير المعاهدة التى بين مصر وبينكم ، وهل احترمتم تعهداتكم بهذا التصرف الطائش ، وهل بعد هذا الاعتداء يمكنك إيهامنا أنكم تذودون عن الديمقراطية وأنكم إنما تخوضون هذه الحرب دفاعاً عن حرية الشعوب .

ياسعادة السفير .. إن هذه الطعنة القاسية التى صوبتموها إلى العرش فى مساء ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ قد صوبت إلى قلب كل مصرى ومصرية ولن يندمل جرحها وسنلقنها لأبنائنا وأحفادنا لكى يعرفوا ما يجنونه من صداقة الإنجليز إن كانت حكومتكم التى أرسلنا إليها احتجاجاً تلغرافياً تصادق على هذه الفعلة الشنعاء .

وتفضلوا ياسعادة السفير بقبول استنكارنا وأشد احتجاجنا على هذا الاعتداء غير المشروع المخالف لأبسط مبادئ القوانين واللياقة " .

مصر فى ٩ فبراير ١٩٤٢

كذلك كان لهدى شعراوى موقفاً من ممارسة الديمقراطية فى مصر ، ولذا فإنها كانت تناشد دائماً أعضاء البرلمان ضرورة مراعاة الضمير الوطنى لتحقيق مطالب الشعب وتوفير الأمن والأمان له .

موقف هدى شعراوى من أحداث فلسطين :

يتجلى موقف هدى شعراوى تجاه أحداث فلسطين وسرقة الحركة الصهيونية لقطر عربى حبيب ، حيث تعرضت فى مجلتها المصرية لإضراب شعب فلسطين سنة ١٩٣٦ والذى اعتبر ثورة لهذا الشعب ضد الهجرة الصهيونية وسياسة الانتداب البريطانى تجاه عرب فلسطين .. وكانت هدى شعراوى هى أول من أشار إلى وقوف الولايات المتحدة مع الحركة الصهيونية وتعاطفها مع اليهود .. فى وقت كان يعتقد فيه الجميع أن بريطانيا هى المسئولة عن نكبة فلسطين دون بقية المجتمع الدولى .

تبادلت هدى شعراوى البرقيات مع أنيسة الخضراء رئيسة لجنة السيدات بعكا حول سوء الأوضاع فى فلسطين والدور الذى يقوم به الصهاينة فوق أرضها.

وفى الفترة ما بين ١٥ و ١٨ أكتوبر سنة ١٩٣٨ عقد المؤتمر النسائى الشرقى فى القاهرة وكان من أهم المؤتمرات التى عقدت لنصرة فلسطين ، وقالت فيه هدى

شعراوى أن " فكرة إيجاد وطن قومى لليهود ليست ناشئة عن مجرد عطف بريطانيا العظمى عليهم وحبها لهم ، وإنما هى وليدة مطامع استعمارية خطيرة خلفتها سياسة طائشة أرادت أن تلعب بالنار لتحقيق مآرب سياسية لها خطورتها على الأمم الشرقية والسياسية العالمية ".

وذلك كان أول كشف صريح للأطماع الصهيونية وارتباطها بالمصالح الاستعمارية وخطورة ذلك على العالم العربى والأمة الإسلامية .

وقد ختمت هدى شعراوى كلمتها فى هذا المؤتمر بقولها :

" إن القوة المعنوية التى كانت ومازالت يملكها العرب لها الغلبة دائماً على القوة المادية ، لأن القوة الغاشمة تخرب وتدمر والقوة المعنوية تبنى وتعمر . وهذه القوة تملأ والحمد لله قلوبنا ، الأمة العربية تستعيد مجدها بإذن الله وربما كانت هذه المآسى والتضحيات درساً لنا وبشرى لخاتمة حسنة لم تكن فى الحسبان ".

وفى أول فبراير سنة ١٩٣٩ حذرت مجلة المصرية فى مقال ساخن من مراوغة العرب والعمل على دعم الحركة الصهيونية . وأرسلت هدى شعراوى كثيراً من البرقيات إلى رؤساء الوفود العربية فى مؤتمر فلسطين الذى عقد فى لندن فى نفس السنة ، كما أرسلت برقية إلى مستر تشمبرلن تحييه على تصريحه الخطير من مشكلة اليهود والذى قال فيه أن فلسطين بلد صغير لا يمكن أن يحل المشكلة اليهودية وأن بها شعب ينبغى أن تحترم مصالحه.. واعتبرت هدى شعراوى أن ذلك التصريح رداً على المقولة الصهيونية بأن فلسطين أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض .

كما أرسلت أيضاً عدة برقيات إلى المستر مكدونالد وزير المستعمرات البريطانية ورئيس أساقفة كنتربرى تحذرهم من عاقبة حل المشكلة اليهودية على حساب شعب فلسطين ، وكان من ضمن برقياتها برقية إلى علماء الإسلام فى فلسطين بالوقوف وقفة واحدة أمام الأطماع الصهيونية .

وكانت أهم برقية هى تلك التى أرسلتها إلى رئيسة الاتحاد النسائى الدولى والتى قالت فيها :

" باسم الأرامل واليتامى العرب ضحايا الوحشية الصهيونية فى الأراضى المقدسة

أناشد الشعور الإنسانى فى نساء انجلترا الإلحاح فى مطالبة السلطات البريطانية المسئولة بسرعة إيقاف هذه المذبحة البشرية ".

لقد كانت الحركة النسائية فى مصر هى أول هيئة شعبية اعتبرت تصريح "بلفور" باطلاً من أساسه ولا قيمة له فى نظر العرب والمسلمين ، كما كانت هدى شعراوى هى أول من طالبت بضرورة منع الهجرة إلى فلسطين منعاً باتاً ورفض تقسيم فلسطين على أى نحو والتمسك ببقائها قطراً عربياً .. كما أنها شكلت لجنة لجمع التبرعات لمساعدة ضحايا القضية الفلسطينية ، وهذا كله يؤكد الدور العظيم الذى لعبته هدى شعراوى من أجل القضية الفلسطينية .

وهنا نود التأكيد على الدور الهام الذى لعبته هدى شعراوى من أجل الدعوة لوحدة الأقطار العربية والاهتمام بتصفية الخلافات وزيادة التبادل التجارى بين هذه الأقطار من أجل غد أفضل.. لقد أكدت هدى هانم على أن الأمة العربية تملك كل المقومات إذا ما أحسن استخدامها ، وعلى أنها تستطيع القضاء على كل المؤامرات التى تحاك لها .. كما أكدت على أن مستقبل الأمة العربية يرتبط بمجموعة من الخيوط أولها الممارسة الصحيحة للديمقراطية ، ومشاركة المرأة مع الرجل فى بناء الوطن العربى ، وضرورة ارتفاع الساسة عن الصغائر ووضع مصلحة الأمة فوق مصلحة الفرد ، وعلى أن التعليم هو أساس البنيان الصحيح لهذه الأمة .

الخاتمة

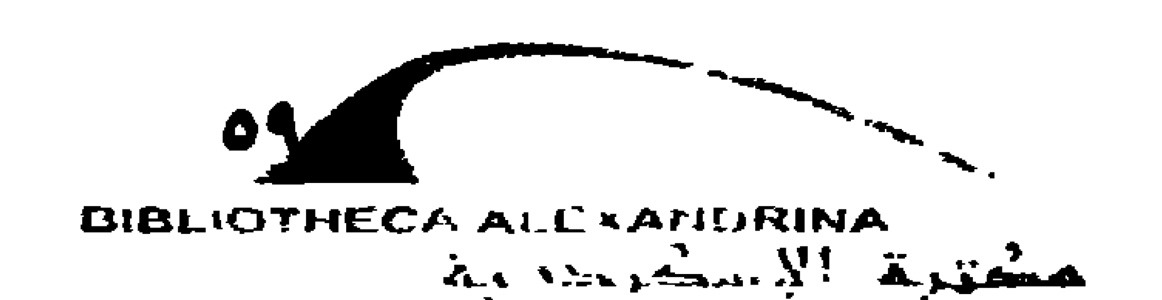
إن المرأة المصرية ، كان لها دور تاريخى عميق فى الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى وفى تطوير أوضاعها وتغيير المجتمع الذى تعيش فيه .

ويعود الفضل لهدى شعراوى فى ربط الحركة النسائية فى مصر بالحركة النسائية العالمية ، ولم يكن ذلك قاصراً على المؤتمرات التى كانت تحضرها وتوضح فيها دور المرأة المصرية ونضالها من أجل حرية واستقلال بلدها ، بل انضمت هدى شعراوى من خلال الاتحاد النسائى المصرى الذى كونته فى ١٦ مارس ١٩٢٣ إلى الكثير من المنظمات النسائية العربية وإلى الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى الذى تأسس عام ١٩٤٥ ، وكانت أهم أهدافه بالإضافة إلى الدفاع عن حقوق المرأة وحماية الطفولة ، الدفاع عن الديمقراطية والاستقلال القومى والتقدم والسلم العالمى ، وكان يضم فى صفوفه منظمات تمثل ملايين النساء فى مختلف أنحاء العالم .

دعت هدى شعراوى إلى تأسيس الاتحاد النسائى العربى ، وقامت من خلاله بتنظيم العديد من النشاطات والفعاليات لمقاومة المخططات الاستعمارية والعدوان الصهيونى والاحتلال ، وللدفاع عن حقوق النساء والمطالبة بحقهن السياسى والاجتماعى المساوى للرجل .

وقد أكدت الدراسة مجموعة من الملاحظات ... أولها أن قاسم أمين لم يكن هو مؤسس حركة النهضة النسائية وإنما كان امتداداً لغيره من المفكرين والكتاب الذين سبقوه بأكثر من ربع قرن .. أما الملاحظة الثانية فهى أن كثيراً من الرجال قد أسهموا فى بعث الحركة النسائية والدفاع عنها إيماناً منهم بقدراتها ودورها فى بناء المجتمع ، والملاحظة الثالثة فهى أن نساء مصر من كل طبقاتها أسهمن بدور جاد وضحين فى سبيل الوطن بكل غال وثمين .

ومما تشير إليه الدراسة من مفارقات ، نذكر أن الجامعة المصرية أسستها امرأة وهى فاطمة ابنة الخديوى اسماعيل وشقيقة الملك فؤاد والتى تبرعت بأرض تزيد مساحتها على ١٥٠٠٠ متر لبناء ذلك المبنى المهيب ، وفى موقف مؤثر ومفعم بالمعانى تبرعت أيضاً بجزء من مجوهراتها الشخصية للإسهام فى هذا البناء ، وفضلاً عن ذلك ومن أجل ضمان استمرار وازدهار هذه الجامعة ، فقد كرست مساحة ٦٦١ فداناً تم تخصيص جزء من عوائدها سنوياً لارسال أربعة طلاب فى بعثة لأوروبا لاستكمال تعليمهم .. والمفارقة هى أن هذه الجامعة



حظرت دخول النساء ومشاركتهن فى الحياة الثقافية ، بل ومنعت النساء بالقوة من عقد اللقاءات وتنظيم المحاضرات بها لفترة طويلة ولم يتم السماح للنساء بدخول جامعة فؤاد الأول إلا فى آواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات .

كان زوج هدى شعراوى من أعضاء الوفد المؤسسين وهو ما وفر لها القدرة على طرح مطالب لم تكن متاحة لنساء أخريات .. ومما يذكر أن هدى شعراوى على الرغم من نشأتها التركية ، حيث كانت أمها تركية الأصل ومربيها سعيد أغاخان أيضاً تركياً ، إلا أنها كانت تعيش بوجدانها وبوعيها كل مشكلات المجتمع المصرى، وكانت تؤمن بأن الحياة لا تستقر إلا بالرجل والمرأة سوياً ، ومن ثم آمنت بأن تفضيل الرجل على المرأة ليس سوى رواسب وتراكمات أفتعلتها عصور التخلف.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هدى شعراوى كانت مغرمة باللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وكانت تتعجب من عدم قدرتها على قراءة القرآن بلغة سليمة ، إلى أن قال لها أستاذها أن السبب فى ذلك هو عدم دراستها لعلم النحو ، فرجته أن يعلمها ، وكان لها ما أرادت ..

لقد اتخذت هدى شعراوى من القراءة سلاحاً تشق به طريقها فبدأت فى الاطلاع على كنوز كتب والدها ، حيث اطلعت على كتاب " العقد الفريد " لابن عبد ربه وقرأت قصة جورجى زيدان " الملك الشارد " مما حبب إليها القراءة التاريخية .. كما كانت تستمع إلى قصص قريباتها اللاتى شاركن فى الحرب بين روسيا وتركيا وكيف أن المرأة التركية قد لعبت دوراً هاماً لمساندة الرجل .

تعلمت هدى من أمها أنه لا يجب التفرقة فى المعاملة بين الولد والبنت ، وأن طريق الإقناع الذى كانت تتبعه أمها معها جعلها تقترب منها بشكل لا مثيل له حيث تقول فى مذكراتها عن أمها :

" كنت أحب هذه السيدة حباً عظيماً وكانت تبادلنى إياه وتعطف على ، فكانت الوحيدة التى تجاذبنى أطراف الحديث بصراحة فى كل الأمور ، وقد لاحظت ماكنت أحاول أن أخفيه من آلام نفسية بسبب تفضيل أخى على من جانب الأب فكانت تحاول إقناعى بأن هذا ليس تفضيل بل إن الولد هو الذى سيحمل اسم الأسرة ويتولى مسئوليتها ، ولم تكن أمى مقتنعة بذلك ولعلها أيضاً لم تكن مقتنعة بماً تقوله لابنها لولا رضوخها للعادات والتقاليد الصارمة الشديدة المتعسفة ".

وكانت قضية المرأة ومساواتها بالرجل هى شغل هدى شعراوى الشاغل وأملها حيث كانت حريصة على بناء صف ثان من قيادات النساء . فكلما أسست جمعية

نسائية جديدة كانت تسند رئاستها إلى إحدى السيدات . فقد أسست جمعية نهضة للسيدات المصريات وهى ذات طابع إجتماعى وأسندت رئاستها للسيدة " لبنة أحمد" وكان أحد أهداف الجمعية تشجيع التجارة الوطنية .

ثم لم تلبث أن أسست جمعية " الأمل " وأسندت رئاستها للسيدة منيرة ثابت . كما أنها عندما تركت لجنة الوفد المركزية للسيدات لتأسيس الاتحاد النسائى المصرى تركت اللجنة تحت رئاسة وكيلتها السابقة السيدة شريفة رياض ، وأفسحت المجال للسيدة سيزا نبراوى صديقتها ومرافقتها الدائمة وسكرتيرتها الخاصة لكى ترأس تحرير مجلة " الإجيبسيان " وهى مجلة نسائية متخصصة كانت تدافع عن قضية المرأة المصرية وكانت تصدر باللغة الفرنسية .

وكانت هدى شعراوى أول من خلعت النقاب وأسفرت عن وجهها عام ١٩٢٣ أثناء الاستقبال الحاشد للمصريات والمصريين لسعد زغلول بعد عودته من المنفى ، وأثناء ذلك دعت سعد زغلول لرفع سن الزواج إلى ١٦ عاماً للفتاة و١٨ عاماً للفتى، وطالبت بوضع قيد أمام الرجل للحيلولة دون الطلاق بلا سبب شرعى، وحاربت تعدد الزوجات ورأت فيه إهانة للمرأة وناصرت تعليمها وحقها فى العمل السياسى . وبعد عودتها من روما إلى الإسكندرية وفى القطار من الإسكندرية للقاهرة رفعت وسيزا نبراوى وريجينا خياط ومدام ويصا واصف الحجاب تماماً فثار البعض ولكن شخصيتها وكفاحها المستمر جعل الكثير من الآباء يقتنعون برفع الحجاب عن زوجاتهم وبناتهم .

وفى عام ١٩٠٨ دعت هدى الكاتبة الفرنسية " مارجريت كليمان " لإلقاء محاضرة ثقافية على السيدات فى قاعة من قاعات الجامعة المصرية ونجحت المحاضرة نجاحاً كبيراً مما شجع الأمير أحمد فؤاد الذى هو الملك فؤاد فيما بعد —على تخصيص قاعة للسيدات فى الجامعة بعد يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكانت هدى تشجع الرجال كما تشجع النساء على مواصلة التعليم ، ومن ذلك قيامها بإرسال الصحفى الشهير أحمد الصاوى محمد ليكمل تعليمه فى السوربون بباريس ويصبح فيما بعد من أشهر أصحاب الأقلام الصحفية .

كان لهدى شعراوى دور خطير وكبير فى القضايا القومية ونذكر منها قضيتى الوحدة العربية وقضية فلسطين .. فقد طالبت بفتح باب التبرعات لمناصرة الفلسطينيين وكلما حلت ذكرى بلفور كانت تعلن احتجاجها هى والنساء المصريات والعربيات على ظلم هذا الوعد للفلسطينيين كما طالبت بوقف الهجرة اليهودية لفلسطين . وأثناء حضورها المؤتمرات فى أوروبا كانت تدحض أكاذيب زعيمة

الحركة النسائية الصهيونية وتؤكد على أن اليهود فى مصر يعاملون كإخوة مما جعل نساء العالم يصفقن لها فى المؤتمرات بحرارة .

ومما يذكر حول نشاط هدى شعراوى السياسى أنها عندما سافرت إلى روما وتقابلت مع بينو موسولينى سنة ١٩٢٣ دافعت عن المرأة الإيطالية وطالبته بحصولها على حقوقها السياسية ، وفى مؤتمر جراتس الدولى بالنمسا نددت هدى شعراوى بمساوئ وجود الامتيازات الأجنبية فى مصر . وفى مؤتمر إسطنبول ، الذى حضرته سنة ١٩٣٥ والذى اختيرت فيه نائبة لرئيس الاتحاد الدولى النسائى وهو المنصب الذى ظلت تشغله حتى وفاتها ، التقت بالزعيم التركى مصطفى كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية آنذاك وتحدثت معه مباشرة دون مترجم فكان منظراً فريداً لأنها كانت تجيد اللغة التركية فحثت جهوده من أجل تحرير المرأة التركية وقد بادلها التحية على جهودها من أجل تحرير المرأة المصرية خصوصاً والشرقية عموماً .

وهكذا يتضح لكل قارئ لهذه السلسلة أن تاريخنا المصرى ملىء بالشخصيات التى عشقت النضال وأسهمت فى تشكيل ذلك التاريخ الحافل بالكفاح من أجل أن تظل مصرنا الحبيبة قوية عزيزة باقية بتاريخها وحضارتها ، ترفض الانحناء وتتحدى كل مؤامرات التشويه أو التزييف لهذا الوطن الغالى .

والحقيقة أن كل من تقابل أو تعامل مع هدى شعراوى لم يستطع منع نفسه من الانبهار بقوة شخصيتها ورجاحة فكرها وعمق بصيرتها ، ويكفى أن نذكر أنها فى إحدى المرات كانت مسافرة لأوروبا على قمة الباخرة شامبليون سنة ١٩٣٢ وكان الملك فيصل الأول ملك العراق ضمن المسافرين عليها فالتقى بها ودار بينهما حديث قصير قال لها فى نهايته :

" لقد قرأت عنك كثيراً وأعجبت بجهادك والآن لما رأيتك اطمأننت على أن النهضة النسائية فى بلادنا العربية بخير ودفتها فى يد ربان جدير بإدارتها " .

وخلاصة القول أن هدى شعراوى ، هذه الرائدة العظيمة ، تأثرت كثيراً بالأفكار التقدمية التى اكتسبتها من ثقافتها الفرنسية ، ومن حضورها العديد من المؤتمرات النسائية الدولية العديدة .. لقد حضرت هذه المؤتمرات كممثلة للمرأة المصرية والعربية على حد سواء ، وكانت تجمع بين الحياة العريقة والذكاء الوافر والأدب الراقى والثروة الواسعة والكرم والسخاء .. كما كانت عنواناً للمرأة التى التقت فيها شروط اللياقة والأهلية والكفاية والمزايا المادية والمعنوية لخدمة وطنها.

المصادر والمراجع

- الشبكة العربية للمنظمات الأهلية ، المرأة فى المنظمات الأهلية العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٩م
- دار المستقبل العربى ، الجمهورية العربية المتحدة/ وزارة الشئون الإجتماعية/ اللجنة الدائمة لشئون المرأة – مؤتمر شئون المرأة العاملة ، ٢٣-٢٧ ، نوفمبر ١٩٦٣م
- درية شفيق المرأة المصرية . القاهرة . ١٩٥٥
- آمال كامل بيومى السبكى ، الحركة النسائية فى مصر مابين الثورتين ١٩١٩ و١٩٥٢ . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ١٩٨٦ .
- درية شفيق –ابراهيم عبده ، تطور النهضة النسائية فى مصر ، القاهرة . ١٩٤٥ .
- خيرية شيرين ، المرأة المصرية (مشاكلها –عيوبها –مميزاتها) ، القاهرة ، ١٩٥٧م .
- نبيل راغب ، هدى شعراوى وعصر التنوير . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨م.
- أمانى نصر الله ، نساء رائدات من الشرق ، الدار المصرية اللبنانية –بيروت ط ١، ٢٠٠١م .
- سعاد عبد الله الناصر ، قضية المرأة (رؤية تأصيليه) . كتاب الأمة ، العدد٩٧ قطر ، رمضان ١٤٢٤ . السنة ٢٣ .
- حسن أحمد محمود –محمد أحمد أنيس –السيد رجب حراز ، دراسات فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى والحديث ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- محمد عطية الأبراشى ، مكانة المرأة فى الإسلام . القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- حسن محمد جوهر ، المرأة عبر التاريخ ، مكتبة روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- وزارة التعليم العالى ، (الإدارة العامة للنشاط الثقافى والعلمى) ، المرأة فى مصر ، القاهرة ١٩٧٥ .
- أحمد طه محمد ، المرأة المصرية بين الماضى والحاضر ، القاهرة ، ١٩٧٦م –١٣٩٩هـ .
- محمد غلاب ، مشكلات المرأة، المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، يونيو ١٩٦٦ .
- أحمد زكى عبد الحليم ، نساء فوق القمة ، دار الفيصل ، القاهرة ، ١٩٨٧
- محمد فياض –سمير أديب ، الأمومة والطفولة فى مصر القديمة ، دار البستانى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- ميرفت حاتم ، عائشة تيمور وقاسم أمين رؤى متميزة للحداثة ، مائة عام على تحرير المرأة / الجزء الأول ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠١ .
- مجلة المقتطف ، أصول النهضة النسويه فى مصر، المقتطف ، يناير ، ١٩٢٦ .
- عبد الحليم نور الدين ، دور المرأة فى المجتمع المصرى القديم ، وزارة الثقافة –المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- مجلة الهلال ، أبريل ١٩٨٠ ، عددد خاص عن المرأة ،
- المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية ، تغير الوضع الإجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة ، القاهرة ، يناير ،١٩٧٤ .
- أميرة خواسك ، معركة المرأة المصرية للخروج من عصر الحريم ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- مذكرات هدى شعراوى ، الناشر (مجلة القاهرة) القاهرة ، ٢٠٠٣م .

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية
القراءة للجميع
٢٠١٠

هدى شعراوى

رائدة العمل النسائى فى مصر

تقديم السفير إسماعيل خيرت
رئيس الهيئة العامة للإستعلامات

تأليف : أ.د محمود متولى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف عام
آية أبو العز

الإخراج الفنى
علاء العيسوى



ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحياه ويحيا فيه ، حين يفتح أفقاً أمام الحاضر والمستقبل ، باستيعابه المعلوم ، وإدراكه المجهول ، الإمكان على تحسين الحياة وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخرين ، فكل قراءة تجدد المعرفة تحررنا من العجز أمام المشكلات، وتمنحنا طاقة ، بأن نوظف معارفنا لكل ما هو نافع ومفيد ، فالمعرفة أهم وأغني وأقوى ما يمكن أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان ، ووعيه المتجدد الحضور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات ، وينتج الموارد والثروة ، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل المجالات. إن من يحسن القراءة يحسن ممارسة الحياة . لذا، كانت وستظل دعوتي أن نقرأ للحاضر .. أن نقرأ للمستقبل.. أن نقرأ للحياة .

سوزان مبارك



www.sis.gov.eg

رقم الايداع : ١٥٧٠٥ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي : 0- 220- 234 - 977